

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: 1635098512

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي



مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: أدب جزائري
العنوان:

صورة المرأة في الرواية رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة – أنموذجاً

إعداد الطالبة:

بركاتي فائزة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

إسم ولقب الأستاذ:	الرتبة	الجامعة	الصفة
عمر جادي	أستاذ محاضر أ	محمد بوضياف - المسيلة	رئيساً
معمر عبد الكريم	أستاذ محاضر ب	محمد بوضياف - المسيلة	مشرفاً ومقرراً
قاني مولود	أستاذ محاضر أ	محمد بوضياف - المسيلة	مناقشاً

السنة الجامعية: 1441-1442 هـ / 2020-2021م



الشكر واليقين

وقال: ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۗ﴾ (إبراهيم، 7).

الشكر والحمد الأول إلى الذي يعطي فلا يبخل

ويمنح دون أن يسأل

الحمد لله رب العالمين

الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة

الأستاذة: الدكتور عبد الكريم معمرى

الذي لم يبخل بإرشاداته وتوجيهاته القيمة.

الأمم

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني وحممتني وأحاطتني بحبها وحنانها:

أمي الغالية

إلى الغالي الذي حرص على تشجيعي للدراسة :

أبي رعاه الله

إلى زوجي وشريك حياتي وقرّة عيني:

زوجي إدريس رعاه الله وحفظه

كما لا يفوتني أن أخص بإهدائي إلى أخواتي وإخوتي وإلى كل من ارتسمت

الفرحة على شفاههم لنجاحي وإلى صديقاتي ورفيقات دربي اللواتي عشت

معهن أجمل الأوقات والذكريات الرائعة وإلى زميلاتي بالذاكرة اللواتي

بذلن جهداً كبيراً من أجل إتمام هذا العمل .

وإلى كل من ساندني في عملي المتواضع



مقدمة

استطاع الأدب الجزائري أن يرصد مختلف مظاهر المجتمع وتحولاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والذي عرف في فترة السبعينات دخول الفن الروائي ولا يزال يشق طريقه نحو الأفضل والأرقى وخاصة المكتوب منه باللغة العربية، حيث انبثقت منه دراسات فذة، تناولت هذا الواقع بكل جوانبه من طرف أدباء كبار ومنذ الثورة التحريرية إلى غاية يومنا هذا، حيث خاضت في مختلف المذاهب الأدبية فكانت لها كيان أدبي وفني في الساحة الأدبية العربية عامة والساحة الأدبية الجزائرية خاصة أمثال: عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار، ورسيد بوجدره...، والجيل الشاب أمثال واسيني الأعرج، محمد الأمين الزاوي، مرزاق بقطاش وغيرهم فقد وجد هؤلاء الأدباء ضالتهم في كتاباتهم، وخاصة منهم عبد الحميد بن هدوقة الذي كتب عن المرأة، وهو الموضوع الذي وقع عليه اختياري في بحثي الموسوم بـ "صورة المرأة في الرواية ربح الجنوب" للراوي "عبد الحميد بن هدوقة" إذ كان هدفي من كل هذا الاطلاع أكثر على أدبنا الراقي، ومن الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع نجد أهمية الموضوع في حد ذاته، والرغبة غفي الاطلاع عليه ومعرفة جوانبه المختلفة، ضف إلى ذلك أن بن هدوقة يمتاز بأسلوبه البسيط، ثم أنه جزائري شديد الإيمان بوطنيته وهو من أصحاب الفكر النير، الذين يملؤون الفكر إعجابا بما يكتبون، وكل هذه الأسباب بهدف تبسيط الرؤية وتوضيحها قدر الإمكان، لإزالة الغموض ومحاولة الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف جسد عبد الحميد بن هدوقة المرأة في روايته ريح الجنوب؟

للإجابة عن هذا السؤال وقع اختيارنا على المنهج الوصفي التحليلي، معتمدة

في ذلك على عدد من المصادر والمراجع من أهمها: رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، "نجمة" للكاتب ياسين، "دراسات في الرواية الجزائرية" لمصطفى فاسي، "صورة المرأة في الرواية الجزائرية" لمفقودة صالح، "اتجاهات الرواية الجزائرية" لواسيني الأعرج... وغيرها.

وبنية البحث تتألف من فصل تمهيدي وفصل نظري وفصل تطبيقي، تسبقهم

مقدمة وتليهم خاتمة، ففي الفصل التمهيدي تناولنا واقع المرأة بين القديم والحديث بالتطرق

للعصور والمراحل التي مرت بها عبر التاريخ، أما الفصل الأول (النظري) الذي يحمل

عنوان صورة المرأة في الرواية تعرضنا لأهمية موضوع المرأة في الرواية العربية بصفة عامة

ثم في الرواية الجزائرية بصفة خاصة، وذكرنا بعض النماذج من الروايات الجزائرية التي

تحدثت عن قضية المرأة، بعد ذلك يأتي الفصل الثاني (التطبيقي) الذي أوردنا فيه ملخصا

للكرواية وأبرزنا فيه واقع المرأة بين الريف والمدينة، مع استخراجنا من الرواية أهم الصور

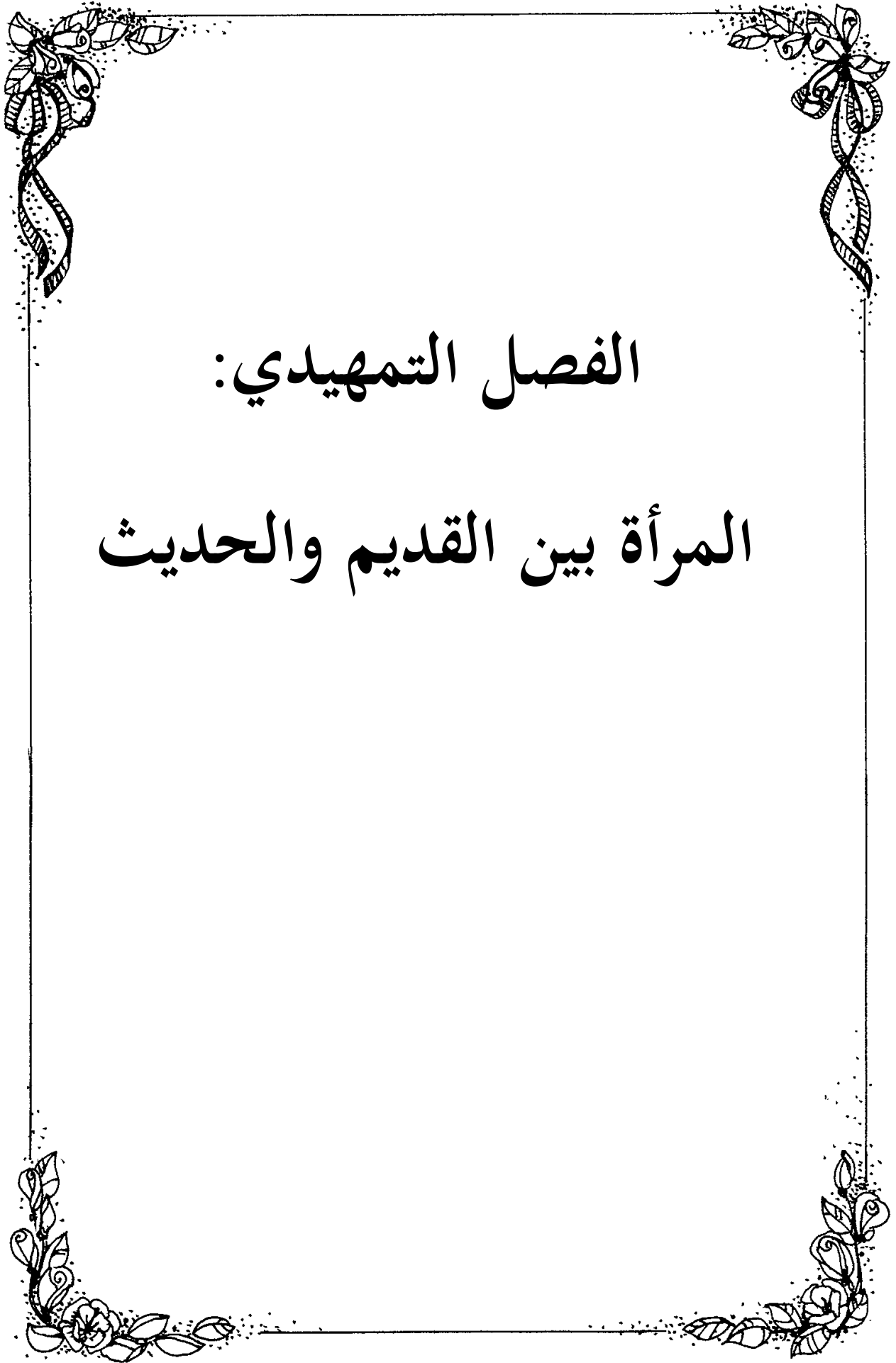
الواردة التي جسدها الكاتب ومنها الصورة الاجتماعية، الجسمية، والنفسية.

أما الخاتمة فجاءت عبارة عن مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال

البحث، وكالمعتاد في إنجاز البحوث الأكاديمية قد تعرضنا لبعض الصعوبات كنقص

المراجع، وضيق الوقت.

كما لا ننسى أن نتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث المتواضع وما يمكننا قوله هو اعتبار هذا الجهد البسيط من نتائج عقل بشري ضعيف، وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا الإنجاز الذي أهدف من خلاله إلى المساهمة ولو بجزء يسير في الدراسات الأدبية، فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فبتوفيق من الله العلي القدير.



الفصل التمهيدي:

المرأة بين القديم والحديث

1/ المرأة العربية عبر العصور:

شهدت المرأة العربية منذ وجودها عدة أوضاع من خلال العصور التي عاشتها، وهذه الأوضاع تتغير عبر التاريخ بحسب كل عصر، ونشير في ذلك إلى ما يلي:

أ/ العصر الجاهلي:

والذي عانت فيه المرأة العربية التسلط من قبل الرجل حيث يقول "قاسم أمين" عن ذلك: "ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها، وأخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان، وداس بأرجله على شخصيتها، عاشت المرأة في انحطاط شديد أيا كان عنوانها في العائلة زوجة أو أما أو بنت... واستعملها الرجل متاعا للذة، يلهو بها متى أراد، ويقذف بها في الطرق متى شاء، له الحرية ولها الرق، له العلم ولها الجهل، له العقل ولها البله، له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن، له الأمر والنهي ولها الطاعة والصبر، له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الكل الذي استولى عليه"¹.

هذا من جهة ومن جهة ثانية "بلغ الأمر بعض الأفراد في بعض القبائل إلى وأد البنات"².

معنى ذلك أن يقتل الآباء بناتهم، وفي حالة ما بشروا بميلاد الأنثى يصبح ذلك عار عليهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: "إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ويتوارى من القوم سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون"³.

¹ قاسم أمين، تحرير المرأة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 38.

² مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط2، 2009، ص22.

³ سورة النحل، الآية 58-59.

فبهذا المعنى تصبح المرأة في معاناة؛ أي أن تقتل أو أن تحي ويكون مصيرها بذلك الرضوخ لسلطة الرجل فانحطت بذلك مكانة المرأة وقيمتها، وأصبحت مجبرة على القيد في مقابل منح الرجل السيادة والسلطة وتوسعت هذه الظاهرة لتصل إلى درجة بيعها "وتعين في بغداد عاصمة الخلافة العباسية شارع النخاسة الذي تجلب إليه الإماء من مختلف الأرجاء كما يجلب العبيد"¹. لهذا نجد أن فكرة الجواري أضرت كثيرا بقيمة المرأة حيث كانت متيقنة بأن المحل الأول في قلب زوجها ليس لها بل للجارية التي اختارها الزوج لأنها جميلة وهذا ما جعل المرأة تخضع الخضوع التام وتعمل على طاعته "وبما أن الرجل يحتقر جاريته فإن هذا الاحتقار ينتقل بالمحاكاة السيكولوجية إلى الزوجة الحرة ثم يعم الشعب كله احتقار المرأة"².

ومن كل هذا نستنتج أن العصر الجاهلي كان قاسيا على المرأة إذ لم يعرّها اهتماما، ويرى أن المرأة مجرد لعبة في يد الرجل يستمتع بها متى يشاء ويشترها ويبيعها كالبضاعة في السوق كما نجد أيضا:

- من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب.
- من احتقار المرأة أيعتقد الرجل على مادة الطعام وحده ثم تجتمع النساء من أم وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه.
- من احتقار المرأة أن يعين لها محافظا على عرضها مثل أغا أو مقدم أو خادم يراقبها ويصحبها أينما تتوجه.
- من احتقار المرأة أن يسجنها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه إلا محمولة على النعش إلى القبر.

¹ مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص28.

² المرجع نفسه، ص22.

- من احتقار المرأة أن يعلن الرجل أن النساء لسن محلا للثقة والأمانة.
 - من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل في أي شيء يتعلق بها¹.
- وبذلك فإن المرأة العربية كانت تحت حكم استبدادي لا حول لها فيه ولا قوة.

ب/ عصر الإسلام:

بمجيئ الإسلام "خفض للمرأة جناح الرحمة وشملها في جميع تشريعاته بعطف كريم ورعاية رحيمة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل إلى مثلها في أي شريعة من شرائع العالم قديمة وحديثة، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ولم يفرق بينها إلا حيث تدعوا إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها"².

فدراسة المرأة في الإسلام يجبرنا إذن أن نبين النواحي التي سوى الإسلام فيها بين الرجل والمرأة والنواحي التي فرق بينهما وأسباب هذه التفرقة فمن بين ذلك نجد الإسلام "قد سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية بمختلف أنواعها فأعطى المرأة الحقوق المدنية نفسها التي أعطاهما الرجل لا فرق في ذلك بين وضعها من قبل الزواج ووضعها من بعده"³.

لذلك نجد أن الدين الإسلامي سبق كل شريعة في تقرير مساواة المرأة للرجل إذ أعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند الأمم، وسخر لها كل حقوق الإنسان "واعتر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشراء وهبة ووصية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها"⁴.

¹ قاسم أمين، تحرير المرأة، ص39.

² علي عبد الواحد وافي، المرأة في الإسلام، مكتبة غريب، الفجالة، (د، ط)، (د، ت)، ص3.

³ المرجع نفسه، ص6.

⁴ قاسم أمين، تحرير المرأة، ص35.

نفهم مما سبق أن شريعتهما بالغت في الرفق بالمرأة، فوضعت عنها أحمال المعيشة ولم تلزمها بالاشتراك في مسؤولية فوق طاقتها خلافا لبعض الشرائع الغربية التي سوت بين الرجل والمرأة في الواجبات فقط وميزت الرجل في الحقوق.

"إن الإسلاميين في رأي نصر حامد أبو زيد يعملون على الانشطار والتفتيت بين الطوائف الدينية وتسرب هذا الانشطار إلى الإنشأن فقسم إلى ذكر وأنثى والعلاقة الوحيدة المحتملة بينهما هي العلاقة التي تتحدد بغاية التنازل وحفظ النوع التي تستهدف المجمع الذي يحكمه الله وليس البشر"¹.

ومما لا شك فيه أن الإسلام هو من كان سببا في استعادة مكانة المرأة وتعزيزها، وحرّم وأد البنات وحطم قيود الفوارق التي تقوم بين الرجل والمرأة إذ يقول سبحانه وتعالى في هذا الصدد "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليكم خبير"².

وموقف نصر حامد أبو زيد نراه يعيد وضعية المرأة إلى ما كانت عليه قبل العصر الحديث الذي عرف دعوات جريئة ومتطورة لتحرر النساء بدء بما نادى به رفاة رافع الطهطاوي الذي عبر عن إعجابه بديمقراطية الغرب ومشاركة المرأة في الحياة الفرنسية، إذ دعا إلى تعليم النساء ولكنه لم يجرؤ على مناقشة قضية "السفور والحجاب" القضية التي سيطرق لها قاسم أمين الذي كان يؤمن بأن لا نهضة لمجتمع نساؤه قاعدات متحجبات.

"لقد كتب قاسم أمين عام 1897 كتاب "تحرير المرأة" الذي أحدث ضجة، فهاجمه بعض رجال الأزهر، وبالمقابل فقد لقي التأييد من بعض المستترين من أمثال: سعد زغلول، الذي أهدى له المؤلف الكاتب، ومحمد عبده"³.

¹ مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص23.

² سورة الحجرات، الآية 13.

³ أزهرى تصدر الوزارة المصرية سنة 1924م، وترأس مجلس النواب سياسي مصري أزهرى منحرر، توفي بالإسكندرية.

كما ألف قاسم أمين بعد ثلاث سنوات كتاب "المرأة الجديدة" وقد لقي الكتاب تأييد كثير من الأنصار نذكر منهم: "ملاك حنفي"، "باحثة البادية"، "التي عرفت بدعوتها إلى تحرير النساء، وقد أرسلت إلى المؤتمر الوطني سنة 1910 عريضة احتجاج تطالب بحق المرأة في التعليم الثانوي الذي كان وقتذاك وقفا على الذكور"¹.

وبعد قاسم أمين ظهر عبد الحميد حمدي الذي أسس مجلة أسبوعية عام 1915 سماها "السفور" واستمرت في الصدور حوالي سبع سنين وكان كتابها: طه حسين، ومحمد حسين هيكل ومنصور فهمي وبعدها نجد صيحة هدى الشعراوي التي "بادرت عام 1920 إلى تأسيس لجنة الوفد المركزي للسيدات، وواصلت هدى الشعراوي تنصيب اللجان إلى أن أسست "الاتحاد النسائي المصري" كما شاركت في المؤتمر النسائي للرابطة الدولية للتصويت النسائية بروما سنة 1923، وبعد عودتها من المؤتمر، وعند خروجها ونزولها من الباخرة نزلت عارية الوجه"².

وعن طريق أولئك أصبح للمرأة قلم ولسان يدافعان عنها ليعود لها الاعتبار بعد كل ما عانته في العصور السابقة من حرمان وتهميش من قبل المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك نجد الحركات النسوية في الأقطار العربية الأخرى قد نشطت "فقد عقد المؤتمر الأول للنساء في بيروت عام 1919م والمؤتمر الثاني سنة 1922"³.

وبطبيعة الحال فإن مطالب مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات هي الدعوة إلى المساواة بين الجنسين في الوظائف المهنية والحقوق، وإزالة القيود الاستبدادية المحيطة بالمرأة ولاتزال الأفلام الداعية إلى تحرير النساء تؤكد نفس النداء، ونجد ذلك فيما تكتبه نوال السعداوي من مصر وفاطمة أحمد إبراهيم من السودان.

¹ مفقود صالح، المرجع السابق، ص23.

² المرجع نفسه، ص24.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والى جانب كل هذه الأصوات النسوية نجد أصواتا رجالية تساند قضية حرية المرأة وتتبناها كمحمد بنيس في المغرب والأعرج واسيني في الجزائر "ورغم ما حققته المرأة من الحصول على مواد لصالحها في دساتير البلدان العربية إلا أن قانون الأحوال الشخصية مازال يكرس اضطهاد المرأة ولذلك فهو مطلب مراجعة من قبل المجتمعات النسوية لأن هذا القانون يحط من قيمة المرأة وبذلك تبقى مكبلة بأغلال قانون الأحوال الشخصية الذي يتعامل معها كقاصر موسى عليها"¹.

وهذا ما عبر عنه بأسى محمد بنيس، وقد اشترطت عليه مصلحة الجوازات في بلاد المغرب ترخيصا مسلما من الزوج يسمح فيه للزوجة بالحصول على جواز السفر، إذ يقول: "شعرت بقهر مضاعف ألسنا مواطنين في دستور البلاد، أليست زوجتي راشدة مثقفة مسؤولة؟"².

وبهذا فإن المرأة تبقى عندنا مخلوقا قاصرا رغم الثقافة والتعليم والمسؤولية وذلك لا لشيء وإنما لكونها امرأة فصفة الأنوثة تشكل قيد للمرأة في بلد مثل المغرب، تعد المرأة فيه متحررة مقارنة ببعض الدول العربية الأخرى.

ج/ العصر الحديث:

إن ثور النساء العربيات التي تولدت عن عصر النهضة، وإن كانت رفعت عن المرأة بعض الحيف والظلم إلا أنها لم تمكنها من نيل حريتها، ومع ذلك فإن واحدا من أنصار المرأة هو محمد بنيس يرى بأن هذه الثورة ناجحة إذ يقول: "ثورة المرأة هي الثورة الفريدة التي انتصرت في كل مكان سلمية لا مثيل لها أرى هكذا المغربيات والعربيات، فألتقي بثورتهم السلمية منذ الخمسينيات سفور، تقرير في شؤون العائلة سباحة في الشاطئ، ورفض الزوجة الثانية..."³.

¹ مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 25

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 26.

ومما سبق نلاحظ أن خطاب النهضة يدعو إلى المثاقفة والاحتكاك بالآخر ولم يقف هذا الخطاب في مواجهة الدين، بل انطلق من فكرة أن لا تعارض بين الدين والنهضة، ومن ثمة ففي رأي "نصر حامد أبو زيد: فإن خطاب النهضة خطاب بناء وليس خطاب تفتيت بينما يقوم نقيضه السلفي على الفصل بين علوم الدين وعلوم الدنيا"¹.

كما يرى حامد أبو زيد أن التيار الديني ظهر بعد هزيمة 1967، حيث تبين زيف كثير من الأحكام وبدأ منذ ذلك الوقت "حركة مساءلة على جميع المستويات والأصعدة وهي الحركة التي لم تتوقف بعد ولا نظن أنها ستتوقف أبدا"².

هذه بالنسبة للمرأة العربية بصفة عامة وتاريخها المتنوع ومراحل حياتها بدء من اضطهادها وقيدها إلى غاية تحررها.

2/ المرأة الجزائرية:

إن حديثنا عن المرأة العربية في تاريخها الطويل والمتنوع كما سبق الذكر وكذا تطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة لن يمنعها من التطرق لوضع المرأة الجزائرية، ذلك أنه لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته التي على أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد، تقسم عائدة أديب بامية المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل هي:

1- الفترة الاستعمارية (الاحتلال).

2- فترة حرب التحرير.

3- فترة الاستقلال³.

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، ص 26.

³ ينظر: بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، المغاربية للنشر، تونس، ط1، 2003، ص 48.

أ/ الفترة الأولى: الفترة الاستعمارية:

"كانت المرأة مضطهدة وكانت تعامل أشبه ما تكون بالسلعة وقد يكون لفترة الاستعمار تلك أثرها السلبي على معاملة الرجال للنساء، ذلك أن الاستعمار الفرنسي عرف بقسوة على الأهالي وهؤلاء"¹، ينقلون المعاملة نفسها إلى بيوتهم ويحاولون أن يثبتوا وجودهم من خلال أسرهم وعائلاتهم وحتى الذين كانوا يهاجرون إلى فرنسا ويحتكون بالمجتمع الغربي يتصرفون بنفس السلوك المتحكم في المرأة "وترد أديب بامية السبب إلى الطبيعة العامة للمجتمع الجزائري، الذي كان يتميز إلى حد بعيد بالمحافظة وبالنظام الأبوي"².

فطبيعة المجتمع تقتضي تحكم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشديد على المرأة خاصة مع وجود الأجانب الغاشمين يضاف إلى ذلك أن الفترة السابقة للاستعمار لم تكن لتعطي الحرية كاملة للمرأة، لأن كل الظروف كانت ضد الأنثى.

ب/ الفترة الثانية: فترة حرب التحرير:

كانت المرأة في بدايتها تصارع ضعفها وخوفها، وإن بدت عنيدة، متحدية من خلال ما تعبر عنه من مواقف رفض وتمرد وثورة على سائد من الأوضاع ضد الاحتلال الذي جعلها مهمشة بفعل عادات وتقاليد المجتمع وما يفرضه عليها من قيود، وأعراف وضغوط، وشعور بالعجز عن الفعل والحركة في سبيل نحت كيان مستقل، وتحقيق الوجود ومقاومة التخلف، كما نعرض صورة المستعمر وما يمارسه من أشكال القهر، وألوان التعسف من خلال ما يقوم به من نهب لخيرات البلاد وما يتسبب فيه من بؤس لأهاليه وقسوة في المعاملة، وهذا ما يفسره موقف عداء المرأة له وانضمامها لصفوف المقاومة للتخلص منه من

¹ مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 27.

² عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ترجمة محمد حقو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط) 1982، ص 210.

خلال ما تقوم به من أدوار مساندة لنضال الرجل مثل تخبئة المقاومين أو مساعدتهم على الهروب وتوزيع منشورات يكتبونها، وإيصال السلاح للمجاهدين وتنظيم المظاهرات وهي أدوار جسدت في الروايات، تبرز دور المرأة في المجتمع أثناء الاحتلال وبذلك كانت هذه الفترة هي الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية لأن الأدوار المتعددة التي قامت بها النساء خلال الثورة التحريرية قد أحدثت خلخلة في العلاقة الاجتماعية فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات التي سيتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد.

ج/ الفترة الثالثة: فترة ما بعد الاستقلال:

أنت فترة الاستقلال عام 1962م، وفرح الشعب بهذا النصر المبين، وظن كل فرد أنه سيصل إلى ما يصبوا إليه، لكن الواقع كان مريرا إلى درجة كبيرة، فمرحلة البناء والتشييد كانت صعوبتها لا تقل عن صعوبة مرحلة الكفاح المسلح وبالنسبة للنساء فقد وجدن أنفسهن بعدن للوراء حيث صار ينظر إليهن تلك النظرة الاستعلائية على الرغم من أن المرأة الجزائرية قد حققت بعض مطالبها من خلال القوانين حيث أكد كل من برنامج "طرابلس" و"ميثاق الجزائر" على مساواة المرأة بالرجل، إلا أن هذه المساواة لم تتحقق كاملة فقد بقيت المرأة وسيلة للمتعة أو للخدمة.

غير أننا لو أمعنا النظر في مكانة المرأة بعد الاستقلال، نلمس الفرق بين الفترتين، إذ في هذه الفترة أصبح لها حقوق ومفاهيم بعدما كانت محرومة وكان حظها الجهل رغم الجهود التي بذلتها لتحسين حالتها وفي غياب البدائل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمرحلة ما بعد الاستقلال لا يكون للمرأة من سبيل سوى إثبات جدارتها بالبحث عن العمل ومحاولة التعلم وإثبات ذاتها بنفسها وكل هذا حصل لأن المرأة تعلمت العمل، وتمكنت من أن تقول جهرا ما كانت تقوله سرا، والارتقاء إلى مرتبة أعلى وأفضل.

3/ درامية الصراع بين الرجل والمرأة:

هناك صراع بين الرجل والمرأة يدور حول قضايا عديدة تخص واقع المرأة ومكانتها في المجتمع، ومدى سيطرة القيم الدينية والاجتماعية عليها "لأن من أهم الأسس التي يركز عليها معط الرجولة والأنوثة في الذهنية الجزائرية، تلك المحددات الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري وتتمثل في دين الإسلام ودين المجتمع ويرجع دور الذكر على الأنثى في بعض السياقات والعلل المختلفة"¹.

لذلك نجد أن المرأة قد تهضم حقوقها وتسلب حريتها دون أدنى اعتراض منها، لأن أبسط الأمور في حياتها تحرم منها وهي حرية التعبير عن ذاتها وكيانها، كما نجد كذلك أن حياة المدينة تختلف عن حياة الريف من حيث نمط السلوك وطريقة التفكير، فالمرأة مطلق الحرية في التعامل مع الرجل دون أن تضع لذلك اعتبارات وحدود وهنا لا يعني أنها لا تعيش في صدام معه فأغلب نساء المدن مطلقاً لسوء التعامل القائم بين الرجل والمرأة، أما الرجل في الريف فبحكم السيطرة العقلية على المرأة يقوم بكل ما يسعده ويكون في صالحه.

وباعتبار المرأة ضعيفة مهما اعترضت على سلوكاته أو أوامره، فهي تخضع له في النهاية كما "سلمت المجتمعات بأن المرأة تكون دون رتبة رجل، وهذا كله من أجل نزول المرأة لدرجة تتلاءم مع فزيولوجيتها أو مع عضليتها، على عكس الطبيعة لبيولوجية الرجل، فهي أقل ملاءمة للعراك وتحميل المشاق ودفع المخاطر وبذلك تظهر القيم في كل من الرجل والمرأة وتترسخ الفوارق بين الطرفين"².

غير أن نظرة السلف للمرأة سيئة، لأنهم يرونها بشكل سلبي كونها تجلب العار والفضيحة والخزي إن بقيت حية، فقد كانوا يئدونها عندما تولد، غير أن مجيء الإسلام قام

¹ عشيراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، منعطف الرسو والمد التقاطبات المدنية والحضارية، ج3، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د، ط)، 2002، ص248.

² المرجع نفسه، ص24.

بالحفاظ على مكانتها قال تعالى: "وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت"¹، وكان الرجل في السابق إذا بشر بميلاد أنثى لا يسعد ويصبح ذلك عار عليه وعلى عائلته فقد قال سبحانه وتعالى: "... وإذا أبشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم"².

وبمجيء الدين الإسلامي تحدد مفهوم كل من الذكر والأنثى، ويحافظ القرآن الكريم على كل منهما مخلوقا بوصفه إنسان، قبل أن يكون جنسا ذكرا وأنثى في المجتمع الذي كان يئد الإناث بل في عصر كانت المرأة فيه تعد من منظور كنيسي شيطانا.

ومما سبق لابد للمرأة أن تستعيد مكانتها لتدعو إلى الاستقرار والبناء الإنساني لأنها أساس صلاح المجتمع وتوازنه، والأحكام تختلف ما بين مناصرة لها حيناً ومناهضة أحيانا أخرى حيث نجد الكاتب مصطفى قاسي يقول في هذه الصدد: "فإذا كانت هذه القضية في العالم العربي قد أسالت كثيرا من الحبر فكتب فيها المقالات المتعددة عبر الجرائد والمجلات العربية، وكذلك الكتب الكثيرة ابتداء مما كتبه قاسم أمين والطاهر الحداد إلى غيرهما من الكتاب الكبار والصغار معا الذين تحمس بعضهم لحرية المرأة وتقدمها ودافع عنها دفاعا مريرا بينما وقف بعضهم الآخر موقفا مختلفا بحيث رأى في هذه الحرية وهذا التطور خروجاً عن الدين والأخلاق"³.

وكما كانت الأديان القديمة تعطي أرخص الأدوار للأنثى ولا تخصصها إلا بمهمة فريدة ألا وهي مهمة الإنجاب وتظهر المرأة ندا للرجل فالأهمية التي حظي بها الرجل ضخمت من غروره في مقابل أن المرأة انحطت قيمتها وهونت من أحاسيس العزة والذاتية لديها، لهذا ما أفقد كلامها خواصهما وجعل الهوة تتسع بينهما لابد أن تشعر بهذه المحنة، ونتصور هذا اليأس الذي يكتنف المرأة بشرط أن نؤمن بأن أنوثة المرأة ليست نقصا طبيعيا كما أن ذكورة

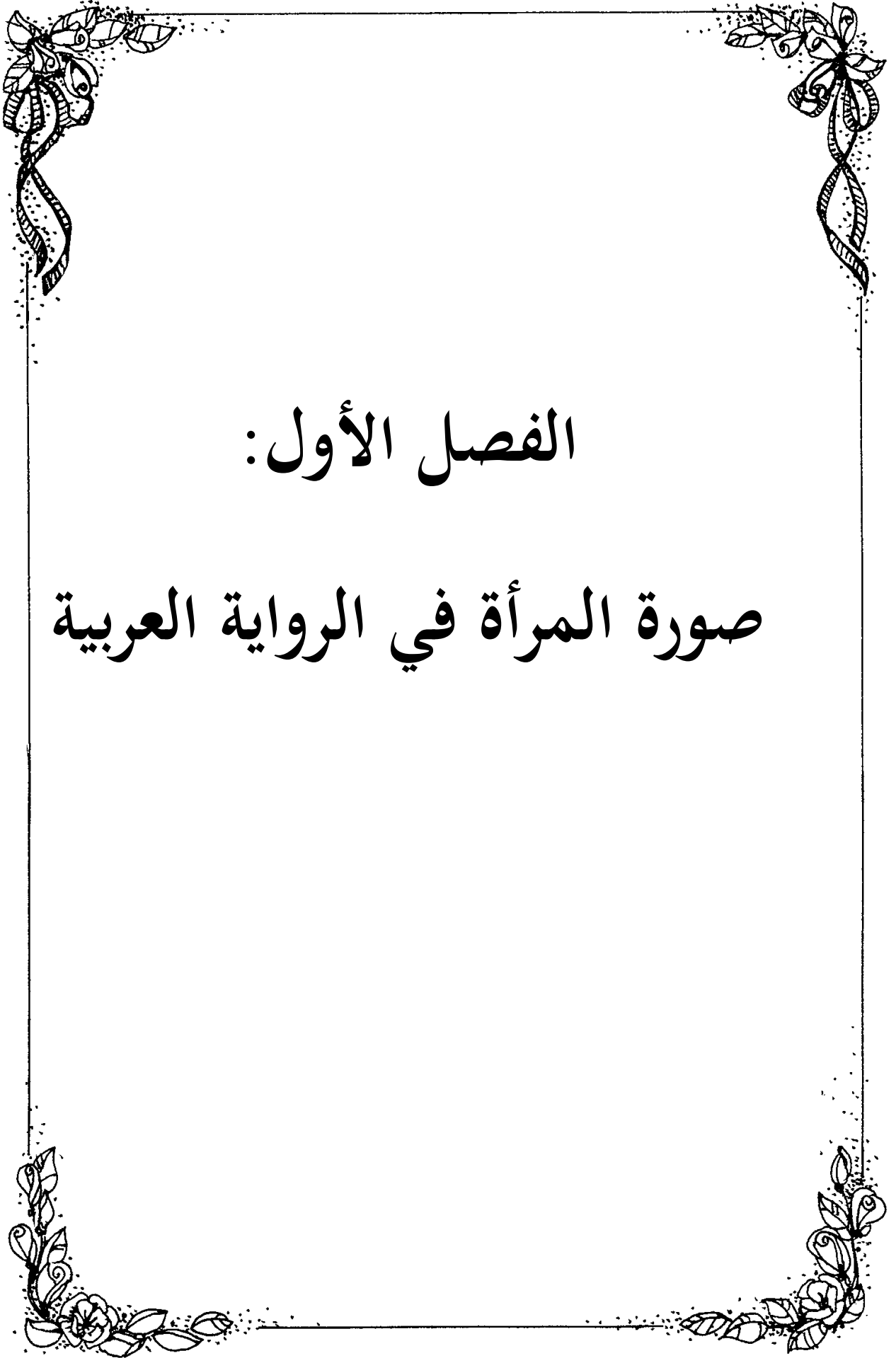
¹ سورة النكوير، الآية 8-9.

² سورة النحل، الآية 58.

³ مصطفى قاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصب للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 12-13.

الرجل ليست كمالا طبيعيا، واحتقار المرأة يصل لدرجة أن ينعدم الحوار بين الرجل والمرأة باعتبارها مخلوقا حقيرا في وجهة نظره ثم إذ المرأة لم تعطها القوانين الوضعية حقها الكامل في الحياة العامة بين الرجل، فصارت مضرب الأمثال الساخرة القاسية، فهي توصف في بعض الأحيان بالجبن والخيانة والغدر.

ومنه نستنتج أن المرأة مهما حاولت تحقيق حريتها والثورة على سلطة الرجل من حولها تبقى دائما مرغمة على العيش تحت جناح الرجل سواء أكان أبا أو أخا أو زوجا.



الفصل الأول:

صورة المرأة في الرواية العربية

1/ أهمية موضوع المرأة في الرواية:

قبل الخوض في قضية المرأة نلاحظ أن "المجتمعات العربية تعاني عدة مشاكل اجتماعية، وتعتبر سبيل تقدمه جملة من عوارض التخلف، ومظاهر الظلم والحيث، ومن المشاكل المطروحة قضية المرأة هذه القضية القديمة المتجددة إنها قضية محلة ومفتوحة كثيرا ما تثار بصورة تصل أحيانا حد التناقض"¹.

معنى ما سبق أن الآراء حول هذه القضية أي المرأة منقسمة إلى قسمين إذ يرى القسم الأول ضرورة التزام المرأة بالبيت والأولاد وحرمتها محدودة، في حين يرى القسم الثاني انطلاقها إلى العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل وفي هذا الصدد نجد مصطفى فاسي في كتابه "دراسات في الرواية الجزائرية" يقول: "فإذا كانت هذه القضية في العالم العربي قد أسالت كثيرا من الحبر فكتبت فيها المقالات المتعددة عبر الجرائد والمجلات العربية وكذلك الكتب الكثيرة ابتداء مما كتبه قاسم أمين والطاهر الحداد إلى غيرهما من الكتاب الكبار والصغار معا الذين تحمس بعضهم لحرية المرأة وتقدمها ودافع عنها دفاعا مريرا بينما وقف بعضهم الآخر موقفا مختلفا بحيث رأى في هذه الحرية وهذا التطور خروجاً عن الدين والأخلاق"².

يفهم من هذا الكلام أن قضية حرية المرأة تضاربت حولها الآراء فمنها المؤيد ومنها المعارض وبين هذين النقيضين نجد أصواتا وسطية تدعوا إلى اتباع منهج وسط بين الانغلاق والتحرر.

ومن هنا فإن التصدي لموضوع المرأة له أهمية بالغة وهذا لكونه يعالج إشكالية مطروحة طالما تحدثت عنها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية وناولها البرامج السياسية

¹ مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص10.

² مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر الجزائرية، (د، ط)، (د، س)، ص12-13.

كما استحوذت المرأة كذلك على القلوب والعقول سواء أكانت في ذلك أما أو أختا أو حبيبة، خطيبة أو زوجة.

أما وجود المرأة في ميدان الآداب فيحب=تل مساحة كبيرة فقوائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع¹.

فموضوع المرأة ليس فقط في مجال الأدب بل وفي كل مجالات الحياة المختلفة نذكر منها الأفلام والإشهار وأسواق المتعة لذا فالمرأة "جزء لا يتجزأ من حفلات المجتمعات الراقية ومن عروض الأزياء ومن النوادي المتخصصة للقمار وغيرها من المنشآت السياسية"²، كما اننسى مجال الرواية الذي تحتل فيه المرأة نصيب أوفى وأوفر، بالإضافة إلى الدراسات الأدبية والاجتماعية ومع كثرة الدراسات المتقدمة عن المرأة سلبا أو إيجابا، فإن تلك الدراسات والبحوث الاجتماعية تجري في أماكن أخرى بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النساء في المدن، وبذلك فإن الأعمال الأدبية والرواية تتناول مشكلة خضوع المرأة وكذا اضطهادها، مشيرة إلى سعي المرأة لتحطيم الاضطهاد المحيط بها ومنه فالبحوث والدراسات الأدبية ترتبط بتوجهات سياسية إذ تذهب إلى ذلك زينب بشير البكري في معرض جوابها عن أسئلة بخصوص قضايا المرأة العربية قائلة "أما معالجة الأصناف الأدبية لموضوع المرأة فتمتاز بالحرية في التناول والجرأة في طرح وإعطاء التصور الذهني والبدلي أو ما أسميه في بحثي بالصورة المثلى للمرأة كما يتخيلها الروائي"³.

¹ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص10.

² مفقود صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص10.

³ المرجع السابق، ص11.

ويكون الحديث عن علاقة الرواية بالواقع عامة وارتباط الرواية الجزائرية بالمجتمع ومعالجتها لقضية المرأة يكون بالترق إلى قضايا المرأة وتاريخها الطويل فلقد كان موضوع المرأة دائما موضوعا حساسا ومثيرا للجدل بين المفكرين والأدباء والعلماء والمتقنين بصفة عامة¹.

2/ المرأة في الرواية العربية:

بعدما كانت المرأة في القديم مغلوب على أمرها، خاضعة لسلطة الرجل تحوت عبر العصور وممر الأيام لتصل إلى وضع سمح لها أن تستحوذ على القلوب والعقول، ليس هذا فقط بل إلى درجة دخولها إلى مجال الأدب بصفة عامة ومجال الرواية بصفة خاصة، يقول زياد جيويسي في مقال صحفي مع الصحفية نوارا لحرش: "الصحفية الجزائرية نوارا لحرش خاطبتني مرة تسألني كيف أرى المرأة في الرواية العربية، وجدت أننا عادة أمام صورة نمطية للمرأة فهي المرأة المقهورة، السلبية المتلقية، الخاضعة للهيمنة الذكورية فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة، القمع يتراوح بين العادات والتقاليد، ظروف المجتمع وأنماطه في التعامل ولم تخرج المرأة عن هذه الصورة إلا في حالات محددة ولعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة العربية في صورة مغايرة، فقد أصبحت المرأة شريكة للرجل في تحمل المسؤولية، امرأة إنسانية وليس سقط متاع، لم تعد مجرد جسد ينظر إليه بشهوة ورغبة، بل أصبحت المناضلة والأم والشريكة وبشكل عام كانت صورة المرأة في الرواية العربية تعتمد دوما على خلفية الكاتب ووعيه وثقافته، البيئة التي خرج منها وتأثر بها، ولعل تغير الثقافات وتأثير العمل السياسي وانتشار الوعي والثقافة كلها لعبت دورها في هذا التغير.

الكثير من كتاب الرواية المعاصرين وخاصة الذين ارتبطوا بالعمل السياسي والنضالي، يقدون صورة إيجابية عن المرأة، تظهر بدورها الحقيقي مشاركة للرجل في تحمل المسؤولية والدة ومناضلة واعية ولها دورها في مناحي الحياة المختلفة ويحضرني هنا دور المرأة

¹ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص13.

الفلسطينية في رواية "ماء السماء" للكاتب الفلسطيني "يحيى يخلف" هذه الرواية أورد صوراً من دور المرأة في مرحلة نهاية الأربعينيات.

وهذا النموذج الإيجابي للمرأة برز أيضاً في روايات الروائي الكبير "حنا مينا" إذ نجد نموذج "رئيفة" في رواية "الذئب الأسود" ونموذج "بيرانيك" في روايته "الفم الكرزى" هذه الصورة الإيجابية تكررت في العديد من الأعمال الروائية العربية المعاصرة كما يمكننا أن نرى هذا النموذج في شخصية "أسيا" في رواية "وليمة لأعشاب البحر" لحيدر حيدر.

لذا يمكننا أن نقول أن النماذج التي أوردتها الرواية العربية الحديثة المكتوبة بأفلام ذكورية تطورت وتغيرت فيها المفاهيم السلبية اتجاه المرأة حتى إن الرواية العربية تمكنت من أن تتجاوز الكثير مما كتب في المراحل السابقة التي صورت المرأة بـ "صورة نمطية، مستهلكة، مستهجنة، مقهورة، منكسرة سلبية"¹.

معنى ذلك أن الرواية العربية استطاعت أن تقفز بالمرأة قفزة أصبحت من خلالها ينظر إليها بمنظور إيجابي كأم وأخت وزوجة ومناضلة، أبرزت الأدوار الإيجابية وذلك على عكس الدراسات السابقة التي لم تصور المرأة إلا في صورة سلبية جاعلة منها تلك المرأة الخاضعة للقمع والقهر دون أن تحرك ساكناً.

مما لا شك فيه أن المرأة كيان كل أمة بل وكل حضارة غير أن الأم تفاوتت في درجة معاملتها للمرأة في شتى عصور التاريخ، وفي تجاهلهم لها حيث كانوا في العصر الجاهلي يئدون البنات وكل ذلك خشية العار، لكن مجيء الدين الإسلامي عزز مكانة المرأة وأعطى لها مكانة في المجتمع بتحريم وأد البنات وتحطيم القيود والفوارق التي تقوم بين الرجل والأنثى.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الذي يعلى ولا يعلى عليه "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"¹. فالدين الإسلامي يختلف عن بقية الأديان الأخرى حيث نجد مثلا المرأة في الديانة المسيحية مقصية ومهمشة فكريا وماديا حتى تبقى حبيسة بالضعف والقهر والذل، وشعورها بالإثم باعتبارها دائما مجرمة ومذنبه.

ومن هنا فإن التصدي لموضوع المرأة يكتسي أهمية كبيرة، وتحضر المرأة في ميدان الأدب لتحل مساحة كبيرة سواء كان ذلك في الشعر أو لوحات الرسامين لا ننسى الرواية إذ تمتاز المعالجة فيها بالجرأة في الطرح وذلك يسحب تخيل الروائي وهذا ما نجده عند الطاهر وطار في رواية "عرس بغل" التي عرض لنا من خلالها نموذجا عن المرأة بأشكال مختلفة، تصف صورة المرأة وبالتالي يحيلنا ذلك إلى الحديث عن المرأة في المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، بصورة تمثل الواقع والذي بدوره ينعكس على الأعمال الأدبية الروائية فالمرأة العربية أخذت الدين الإسلامي درعا لها، إذ اغتمت من خلاله الفرصة للمطالبة بحقوقها والدفاع عن نفسها والثورة على أوضاعها المزرية، ومنها أصبحت قضية تشغل عقول الكثيرين.

3/ المرأة في الرواية الجزائرية:

هناك فترة تاريخية ممتدة من سنة 1945م إلى 1962م تعد بمثابة التحول الجذري في تاريخ الجزائر، وكذا فترة اكتملت من خلالها القصة والرواية، حيث دخلت موضوعات جديدة على الأدب الجزائري منها موضوع المرأة، الذي يشغل الكثير من المفكرين والأدباء، وذلك على حد قول واسيني الأعرج: "... فالفترة التي تمتد من 1945م إلى 1954م إلى سنة 1962م، إذن ليست تحولا جذريا في التاريخ النضالي للجزائر فحسب ولكنها كذلك

¹ سورة الحجرات، الآية 13.

أخصب فترة في المجال الأدبي على الإطلاق... فهي التي شهدت اكتمال فن القصة والرواية... فقد دخلت موضوعات جديدة على الأدب الجزائري، أو لنقل على الأقل أن تناوله لها كان جديدا وخارجا عن المؤلف، ومن هذه الموضوعات قضية المرأة التي غادرت البيت ووقفت بجانب الرجل، مناضلة وثورية من أجل التحرر والديمقراطية... هذه المرأة التي تنبت مثلها مثل الرجل قضية الجزائر بكل أبعادها وعاشت تجربة الحرية كما عاشت تجربة النضال المرة، وتظهر جديدا هذا التناول بشكل واضح في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية¹.

معنى ذلك أن واسيني الأعرج حدد الفترة ما بين عام 1945م و1962م بمرحلة دخول موضوع المرأة على الأدب الجزائري بصفة عامة وعلى فن الرواية بصفة خاصة، وذلك لدورها الذي قامت به أثناء الثورة والمتمثل في النضال حيث أثبتت من خلالها وجودها وأهميتها وبالتالي خروجها من البيت ووقوفها بجانب الرجل وبالتالي فإن هذا التاريخ العظيم للشعب الجزائري قد انعكس في الأعمال الأدبية أي "أن هذه الفترة كانت الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية إذ أنه في أعقاب الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في هذه وضعية المرأة"².

أي أن هذه الفترة كانت بالنسبة للمرأة فرصة لتعبير فيها عن نفسها وتثبيت جدارتها بصورة مضاعفة، وتبين قوتها ليس فقط للمستعمر بل وللرجل كذلك فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات التي سيتغذى بها الأدب فيما بعد لذلك فإن الحديث عن المرأة -والمرأة الجزائرية خصوصا- هو حديث عن نصف المجتمع³، وكما

¹ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1986م، ص64.

² مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص29.

³ الوالي عبد المالك بوضياف، المرأة الجزائرية بين الواقع والمجتمع وإرادة الدولة، مجلة دورية أكاديمية متخصصة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى للطبع والنشر، عين مليلة، العدد26، 2008، ص77.

سبق لنا الذكر سالفًا بأن هناك آراء متضاربة حول مسألة تحرر المرأة، إذ منها المؤيد ومنها المعارض كما لا ننسى أنها أصبحت قضية تشغل الكثيرين، حيث دعا بعض المصلحين الاجتماعيين والأدباء لتحريرها، نذكر منهم في الوطن العربي "قاسم أمين" الذي له كتاب بعنوان "تحرير المرأة" و"محمود عباس العقاد" وخصصوا لها قدرًا لا يستهان به، يتحدثون فيه عن قضية المرأة، ونذكر أيضًا "نجيب محفوظ"، و"محمد حسين هيكل" في روايته "زينب" الاهتمام بالفتاة وتعليمها مبادئ الإسلام وقيم الدين، فهذه تعد دعوة صريحة منه للاهتمام بالمرأة وإذا عدنا إلى الكاتب نجيب محفوظ نجد المرأة في روايته كائن مقاتل إيجابي، وهي كائن مستقل لا يتوازى مع الرجل أو يتقاطع معه.

أما جبران خليل جبران نجده يقول في روايته "الأرواح المتمرده" "قامت الصبايا يرقصن ويتمالين بقامات تقاطع مقاطع اللحن وتنتشي طبيبات أثوابهن الناعمة، كأنها سحب بيضاء يداعبها شعاع القمر"¹، من خلال روايته نلاحظ أن جسد صورة المرأة في بنت جميلة من خلال وصف منظرها الخارجي، وبياضها المثير لمشاعر الرجال الموجودون في ذلك الحفل، لكن المرأة الجزائرية بإمكانها تقسيم تاريخها إلى فترتين:

أ/ فترة الاحتلال:

والتي كانت المرأة من خلالها تصارع ضعفها وخوفها، وإن بدت عنيدة متحدية من خلال ما تعبر عنه من مواقف رفض وتمرد وثورة على السائد من الأوضاع ضد الاحتلال الذي جعل منها امرأة مهمشة، خاضعة مقهورة بفعل عادات وتقاليد المجتمع، وما يفرضه عليها من قيود وضغوط، وشعور بالعجز، كما نعرض صورة المستعمر وما يستعمله من استبداد وقهر وتعسف، من خلال ما يقوم به من نهب وسلب لخيرات البلاد وما يتسبب فيه من يؤس لأهاليه، من هنا جاء تفسير موقف عداة المرأة له، وانضمامها لصفوف المقاومة

¹ كمال عجالي، المرأة في ديوان محمد العيد آل خليفة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، العدد 95، 1986، ص315.

من أجل التخلص منه، لذلك قامت بعدة أدوار من بينها تخبئة المقاومين ومساعدتهم على الهروب، وتوزيع منشورات يكتبونها، وكذا إيصال السلاح للمجاهدين وتقديم الإسعافات الأولية للمصابين، من الأدوار التي جسدت دور المرأة في المجتمع أثناء الاحتلال.

يعتقد أن أول المشاريع الروائية، قد ظهرت مع "غادة أم القرى" للأديب الجزائري أحمد رضا حوحو فبالرغم من محدودية أفقها غير أنها استطاعت أن تجسد لنا صورة المرأة، يقول "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب... من نعمة العلم... من نعمة الحرية، إلى تلك المخلوقة البائسة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى"¹.

ومهما كانت نقطة بدء الرواية هذه أو تلك فإن الموضوع الرئيسي هو الحديث عن المرأة في الرواية الجزائرية موضوع أصيل ومتجذر ينطلق بانطلاق الرواية ويتطور بتطورها، ولا يثينا تصوير الكاتب أحمد رضا حوحو المرأة الملكية، فما ذلك إلا تطرق لتنمية موازية وامرأة مناضرة للمرأة الجزائرية.

تتجلى صورة المرأة هنا في الفتاة "زكية" بطلة الرواية، وفي أم جميل التي تقطعت بها الأسباب فضغت حبلتها ولم تجد مخرجا لانقراض ابنها من السجن، ذلك أن قصة حب نشأت بين "زكية" و"جميل" فلا تتمكن من الزواج به بسبب التقاليد، وفي النهاية تموت زكية إثر نوبة عصبية عنيفة، ويموت جميل جزعا في السجن، بعد ذلك نذهب إلى رواية "الطالب المنكوب" للأديب عبد المجيد الشافعي، حيث يصور لنا من خلالها صورة المرأة الحبيبة مع البنت لطيفة، التي يقع في حبها "عبد اللطيف" بعد معاناة وصراع يبتسم الحظ له بالخطوبة ثم الزواج أخيرا ونتاجا لتوثيق العلاقة بين العاشقين، تحققت آمال البطلين رغم كل شيء، وهي نموذج للسذاجة الفكرية، والفنية من حيث المستوى البنائي والعقدة والأحداث.

¹ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكاتب الجزائري، ط2، 1988، صفحة الإهداء.

ننطلق بعدها إلى رواية "الحريق" للكاتب "محمد ديب" الذي يصور لنا فيها قصة حب "علاوة" وابنة عمه "زهور" التي تنتهي بموت الحبيبة بين يدي علاوة فيجن جنونه، ويهاجم الجنود الفرنسيين لأنهم كانوا سبب موت الحبيبة، فيبين لنا الكاتب صورة الاضطهاد، والبؤس والقتل فكانت المرأة مهمشة أثناء الاحتلال لأن الاهتمام آنذاك لم يكن بها بل بأحوال البلاد وكيفية حماية الشعب من العدو الغاشم والمستبد ولهذا تكون رواية "الحريق" تعبر عن الوضع المزري للبلاد في ظل الظلم والعنف من قبل المحتل.

مما سبق نستنتج أن أهمية الثورة وفضلها لا تكمن في ظهور هذه الأعمال وغيرها بل في كونها ضلت تغذي الإنتاج الروائي في فترة ما بعد الاستقلال لأن ظروف الاحتلال كشفت للكاتب عن إمكانيات ضخمة وتجارب جديدة دفعتهم للبحث عن الجديد سواء أكان في الموضوع أو في المضمون أو في الشكل.

ب/ فترة الاستقلال:

إن المتمعن في مكانة المرأة بعد الاستقلال، يلمس الفرق الدائم بين الفترتين، حيث أصبح في هذه الفترة للمرأة حقوق ومفاهيم بعدما كانت محرومة منهم، إذا كان حظها الجهل والأمية رغم ما قامت به من جهود لتطوير وضعيتها جلبت لنفسها الخسارة وفي هذه المرحلة أي بعد الاستقلال، لا يمكن للمرأة من سبيل سوى البحث عن العمل، ومحاولة التعلم لإثبات ذاتها بنفسها والدفاع عن طموحاتها، لاسيما في غياب البدائل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه المرحلة فتثور عن أوضاعها لتفتح باب الجدل حول قضية الرجل والمرأة وكل هذا حصل لأن المرأة تعلمت وبالتالي مكنها ذلك من أن تقول جهرا كل ما كانت تقوله سابقا سرا، لترتقي بذلك إلى مرتبة أعلى هناك نخبة من الروائيين الجزائريين كأحلام مستغانمي في ذاكرة الجسد وزهور أونيسي ومحمد ديب، رشيد بو جدر، ومولود معمرى والطاهر وطار، كاتب ياسين كما لا ننسى عبد الحميد بن هدوقة روايته "ريح الجنوب" التي تبقى تلك الرواية

الناضجة التي أعلنت البداية الحقيقية القوية للرواية الجزائرية باللغة العربية¹، كما أنها الرواية التي طرحت موضوع المرأة حيث إن بن هودقة سعي من خلال شخصية نفسية إلى تقديم قضية هامة وكبيرة من قضايا الجزائر هي قضية المرأة وحريتها وتطورها²، فكل واحد من الروائيين السابقين نلفيه قد أولى اهتماما كبيرا للمرأة في رواياته حين صوروها وجسدها وكانوا من خلال ذلك أكبر تمجيذا للمرأة باستعمال كل واحد منهم نظرتة الخاصة لها فصورة المرأة.

روايات محمد ديب تتجلى في رواية "من يذكر البحر" التي يصور فيها للقارئ تغلب صفة الأم على نفسية من طاعة واحترام فهذا يعود للجانب الديني السائد، وصورة المرأة في الرواية الجزائرية "نجمة" للروائي كاتب ياسين تعمل الأم ليلا ونهارا وكل ذلك لأجل ابنتها كما أنه جسد لنا صورة الأم التي تخاف على أولادها وترعاهم ليتوصل بها الأمر لتقوم بأي شيء من أجلهم فصور لنا المرأة الأم التي يتقطع قلبها على ولديها فرحات وعيسى وحبهما لمجنونة والشجار المتواصل بينهما فكانت الأم في هذا الموقف الحرج، ومن الخوف تجمع قطع القرميد التي تعثر عليها وتخفيها في ثوبها، هذا بالنسبة لرواية "نجمة" لكاتب ياسين أما فيما يخص رواية "الدار الكبيرة" للروائي رشيد بو جدرة فنلفي الكاتب يصور لنا المرأة عيني الأم التي لها ثلاث أطفال وأم عجوز، وهي تعمل لتعليمهم، فلا يغمض لها عين في ذلك ولا تعرف الراحة لأن قلبها مليء بالعطف والحنان والرحمة تتمتع بقوة الإرادة، فصورة نفيسة هي امرأة حنونة وعيني وعرفية تمثلان المرأة العملاقة التي تملك قوة بدنية كبيرة، فعيني همها الكبير لقمة العيش وهم عرفية القتال في الجبال، امرأة من نوع خاص إذ تثير في الناس نوعا من الاستغراب المملوء بالإعجاب بشخصيتها وشجاعته.

¹ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، ص12.

² المرجع نفسه، ص12.

ويقدم لنا رشيد بو جدرة صورة المرأة الزوجة المضطهدة المغلوب على أمرها في رواية "الطلاق" حيث يرى سعيدة تستسلم لرجل وتلقي مصيرا مخيبا، كما أن شقيقتها ياسمين التي كانت ضحية مضايقات حماتها لها وقادها إلى مستشفى الأمراض العقلية¹.

ننطلق بعدها مباشرة إلى لؤلؤة من لآلئ الأدب الجزائري ألا وهي زهور أونيسي في روايتها "لونجة والغول" حيث تصور المرأة آنذاك كحكاية مليكة وبهجة وفاطمة، مبرزة الدور الفعال الإيجابي لهن أثناء الثورة التحريرية. إذ نجدها تجسد لنا ضرورة الزوجة المثالية المتفانية والوفية لزوجها تنتظره وترتقب عودته من الحرب حين لبي نداء الواجب الوطني والتحق بصفوف المجاهدين والثورة، كما تبرز لنا أيضا في روايتها "من الملموم" صورة البنت "آه هذا هو جزء تربيتي لكي أهذه طاعة الوالدين، كيف يصدر منك هذا يا بنت"²، وتصويرها هنا كان لبنت عاقلة لوالديها ومتعجرفة في رواية "الحاج زيتون" نرى صورة أخرى للمرأة تتجسد في فاطمة الزوجة السليطة اللسان، المخادعة التي لم تأبه لحب زوجها وعطفه، وراحت تذله وتخضعه، وتطلب منه الطلاق لكن الحاج زيتون استطاع أن يربيه حين إنهال عليها ضربا، وأمرها بالطاعة والخضوع مدى حياته وهكذا كانت نهاية المرأة فاطمة الزوجة، وجسدت الروائية زهور أونيسي صورة البنت في مجموعتها "على الشاطئ الآخر" وتزوجها لكن رغم محاولتها الرفض إلا أنها في النهاية رضخت لأمر الواقع، أما فيما يخص صورة المرأة الحبيبية نجدها في رواية "صون الغرام" لمحمد كمنينغ، الموضوع الرئيسي الذي يحرك مركبتها الغرام لمحمد كمنينغ، الموضوع الرئيسي الذي يحرك مركبتها السردية هو الحب الذي يدور بين فلة والعمرى في إحدى القرى المحافظة بالشرق الجزائري حيث يصف فلة بأنها فتاة قروية أمية لم تعرف قصة غرام مضييفا أن صفة الأمية مستحبة وينبغي أن تتوفر في المرأة لكي تزداد حظوة وتقديرا.

¹ عائدة أديب باميا، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص217.

² زهور أونيسي، على الشاطئ الآخر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988، ص58.

وإذا عدنا إلى صورة المرأة الرمز نجد ذلك في رواية "نجمة" للروائي كاتب ياسين حين جسد صورة المرأة نجمة كأسطورة ورمز يرمز من خلالها إلى الجزائر فهي الكاهنة ويسري في عروقها دم بني هلال رمز العزة والأرض الغاضبة التي تموت منها، هي قصة الدم فكانت نجمة هي المرأة الجميلة والبطلة الرائعة التي ترمز للثورة الجزائرية وتمجدها وتمسح عليها آلامها وأحزانها ونرى الجزائر مع نجمة تلك البطلة التي تدور حولها قصص الحب وهي أسطورة أكثر منها امرأة ترمز للجزائر يقول الكاتب "كانت نجمة الحقيقية عنيقة ثم اتفق مربوها على إزاحة كل العراقيل من قدامها تدريجيا غير أن هذه الحرية المجانية الخارجة عن عالمها وعن زمانها غدت الحاجز الأكثر قساوة..."¹، يقصد منها بنجمة وقضية تحريرها.

ويقصد بالشباب في رواية الشعب الجزائري ممثلا في أربعة أصدقاء هم: رشيد، لخضر، مصطفى، ومراد فهم مجموعة واحدة غير أن لكل واحد من هؤلاء شخصية متميزة، حيث يتحملون المسؤولية، أما الطفولة نجمة فقد أخبطت والدها بالغموض فيختار منها هل هي فرنسية أم يهودية؟ وهذا نفسه حدث فيما يتعلق بأصل الجزائريين بعد دخول العدو الفرنسي على الجزائر، وبنفس الطريقة التي تبادر فيها الشك حول وجود أمة جزائرية مستقلة إذ كان من المستحيل التعرف على والدة نجمة لما تسأل هل هي يهودية أم فرنسية، وهذا ما حصل للجزائريين إذ تعرضت للاغتصاب من قبل عدو فرنسي غاشم فلم يسمح لأبنائها بإعلان انتسابهم إلى وطنهم الحبيب والغالي، كذلك سي مختار والد نجمة الحقيقي كان محروما من مناداتها بابنتي أو سماعها على الأقل تتاديه أبي، فنجمة تسكن فيلا أشبه بالسجن الكبير الذي حصر فيه شعبها، وحركة نجمة المستمرة بين عنابة وقسنطينة ما هو إلا رمز لكفاح المرأة الجزائرية فهي نقطة انطلاق للبحث عن البلد الضائع الذي مزقته الحرب في صورة المرأة نجمة، كما تكشف الروائية أحلام مستغانمي في روايتها "ذاكرة الجسد" عن دلالة المرأة وخروجها من نطاق جسدها يجعلها رمزا لمدينتها وعنصرا إيجابيا

¹ كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2007، ص237.

يمثل ذاته بقدر ما يمثل المرموز له فيربط خالد بين الحياة التي يلقاها في غربته وبين مدينته التي غادرها، حيث يعقد شبهة بينهما تقول الكاتبة "وقررت في سري أم أحوالك إلى مدينة شاهقة شامخة عريضة... عميقة لن يطلها الأقرام... حكمت عليك أن تكون قسنطينة وما كنت أحكم على نفسي بالجنون"¹، وبذلك يكون الرمز هو الإيحاء، ويكون الشبه الذي أورده خالد بين حياة ومدينتها هو ما دفعه لإقامة الرمز، كونها امرأة متناقضة متطرفة في عواطفها تماما كقسنطينة، فهي تمثل بلامح وجهها واستدارة جسدها تضاريس تلك المدينة ومعالمها.

نلخص في الأخير أن المرأة منذ وجودها وهي تعاني من السيطرة عبر ممر العصور، إذ كانت في القديم مهمشة تماما، راصعة، مقهورة، غير أن مجيء الدين الإسلامي تكرمت مكانتها وارتقت مع مرور التاريخ وبالضبط أثناء الثورة التحريرية الجزائرية حيث قامت المرأة بمغادرة البيت ووقفت مع الرجل مناضلة ومكافحة بما تستطيع من قوة فأثبتت في هذه المرحلة مجودها وجدارتها لتصبح بعدها حكاية لمن جاء بعد هذه الفترة فحكوا عن شجاعته وجرأتها ويطولتها فتدخل بذلك مجال الأدب بصفة عامة ومجال القصة والرواية بصفة خاصة وأصبح معظم الروائيين الجزائريين يولون أهمية بالغة لصورة المرأة سواء أكانت أما أو بنتا أو زوجة أو حبيبة.

¹ أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1993، ص119.



الفصل الثاني:

صورة المرأة في رواية

"ريح الجنوب"



1/ ملخص الرواية:

رواية "رياح الجنوب" للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة، تنطلق في صباح يوم الجمعة - هو يوم السوق - أين يستعد عابد بن القاضي للذهاب إلى السوق مع ابنه عبد القادر، فيقف قرب الدار متأملاً أراضيهِ وقطيع الغنم الذي يقوده الراعي رابح، وعلى صدره هم ينغص راحة باله، ذلك أن هناك إشاعات بدأت تروح منذ صدور القرارات المتعلقة بالتسيير الذاتي حول الإصلاح الزراعي، ثم خطرت بباله فكرة بعثت في نفسه السرور وحين نظر من الخارج إلى غرفة ابنته نفيسة يتلخص مضمونها في تزويج ابنته إلى مالك شيخ البلدية والذي يقوم بتأميم الأراضي في ذلك الوقت، كانت نفيسة داخل غرفتها تعاني الضيق والشعور بالضجر تقول: "أكاد أتفجر في هذه الصحراء، ثم تضيف: كل الطلبة يفرحون بعظهم أما أنا فعطلتي أفضيها في منفى"¹، وفجأة تهدأ نفيسة من حالة الاضطراب، عندما تسمع صوت أنغام حزينة كان يعزفها الراعي رابح، فتطرب ولا يخرجها من ذلك إلا صوت العجوز رحمة مناديه على أخيها عبد القادر من بعيد، معلنة عن قدومها كي تذهب مع خيرة والدة نفيسة إلى المقبرة، فترغب هذه الأخيرة في الذهاب معها "أرغب في ذلك يا خالة أود أن أرى الدنيا، إنني اختنقت من هذا السجن"²، بعد أيام تحتفل القرية بتدشين مقبرة لأبناء الشهداء الذين سقطوا أيام حرب التحرير، فيستقبل عابد بن القاضي أهل القرية في بيته رغبة منه في التأثير في مالك وإعادة ربط ما بينهما من صلات قديمة، فمالك كان خطيب زليخة ابنة بن القاضي والتي استشهدت أيام الثورة، حين أعد مالك ورفاقه من المجاهدين قنبلة من المفترض أن تستهدف قطارا مدنيا كانت زليخة من ركابه، مما أثار غيظ بن القاضي فوشى بالمجموع لقوات الاحتلال فآثر ذلك في نفس مالك وأصبح يتهرب منه وفي هذا اليوم الاحتفال يدعو عابد بن القاضي مالكا لرؤية زوجته خيرة لأنها ترجو ذلك منه فيقبل دعوتها،

¹ عبد الحميد بن هدوقة، رواية رياح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1970، ص 10.

² المصدر نفسه، ص 20.

وعندما يدخل الغرفة ما إن يقع نظره على نفيسة حتى يبهت لما رأى فهي شديدة الشبه بأختها وخطيبته السابقة زليخة، ويسعى عابد بن القاضي لإشاعة خبر خطوبة مالك لابنته نفيسة على الرغم من تحفظ مالك، فتعلن خيرة هذا الخبر لابنتها فتفرض بشدة لأنها لا ترغب بالبقاء في القرية، كما أنها لا تريد الزواج بشخص يكبرها سناً ولا تعرفه جيداً، وحين يصر الأب على قراره وتفضل في صده، تستنجد بخالتها التي تسكن في الجزائر فتكتب لها رسالة، تطلب من رابح أن يحملها إلى القرية المركزية ويضعها في البريد، فيعجب بها رابح لأنها تكلمت معه بلطف، وظنها معجبة به فقرر زيارتها ليلاً، وبالفعل يقوم بذلك، وعندما تجده فجأة أمام سريرها تدفعه وتشمته "أخرج من هنا أيها المجرم! أيها القذر، أيها الراعي القذر"¹، فيخرج مطأطأ رأسه حزينا، وبقيت تلك الكلمات المؤلمة تدوي في سمعه: أيها الراعي القذر، ومن يومها يقرر ترك الرعي يشتغل حطابا. تمر الأيام ولا يزال الأب مصمما على تزويج ابنته لمالك، فتفكر طويلا في حل لمشكلتها، فتعدي الجنون ثم الانتحار وأخيرا يقع اختيارها على حل نهائي هو "الفرار" فتضع خطة محكمة للهروب، وتقرر تنفيذ خطته يوم الجمعة لأن الرجال يتوجهون إلى السوق بينما النساء يتوجهن إلى المقبرة فتخرج متنكرة مرتدية برنس والدها حتى لا يعرفها أحد فتتجه إلى المحطة عن طريق ذا طابع غابي، فيلدغها ثعبان، فيغمي عليها ويصادف أن يجدها رابح، الذي أصبح حطابا، فيتعرف عليها فيعود بها إلى بيته أين يعيش مع أمه البكماء، ولا يطلع والدها لأنها لا تريد العودة "دار أبي لن أعود إليها أبدا"²، لكن الخبر يشيع في القرية فيعلم والدها، ويعزم على ذبح رابح، فينطلق إلى ابنته ويهجم عليه بقوة شاهرا "موس البوسعادي" فتتهار قوى رابح، فتسرع أمه إلى فأس ضاربة عابد بن القاضي على رأسه فتفجر الدماء من رأسه ومن عنق رابح فتتصرف الأم مسعفة ابنها والبنات مسعفة أباهن ثم قامت الأم ودفعت نفيسة إلى خارج البيت، وبدأت تصرخ، فأقبل الناس فزعين واتجهت نفيسة راجعة إلى بيت أبيها بعد أن فشلت محاولتها في الهرب.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص108.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص246.

2/ المرأة بين واقع الريف وواقع المدينة:

قد يكون من الصعب على الفرد التأقلم مع بيئتين مختلفتين فالريف والمدينة متضادان لا يتلقيان بأي حال من الأحوال فمن يولد في الريف ويعيش فترة لا بأس بها في المدينة، قد يصعب عليه التأقلم مع الريف، فنفيسة فتاة تعرف الكثير عن حياة المجتمعات المتمدنة وبصفة خاصة حياة المرأة في العاصمة فهي فتاة مثقفة ثقافة فرنسية ابنة القاضي الاقطاعي الذي يشكل الشخصية الأساسية في الرواية باعتباره الأب المتسلط والحاجز الوحيد أمام مصلحة نفيسة التي تأمل في العودة إلى العاصمة بعد انقضاء عطلة الصيف، لكنها ما كادت تصل إلى القرية وتلتقي بأبها وأبيها حتى تصطدم بمخطط أبيها الذي ينوي تزويجها من مالك دون أخذ موافقتها ورغم أنها.

ومن هنا تبدأ قصة هذه الفتاة كامرأة ريفية مثقفة تريد أن تدافع عن حقوقها في التعلم والزواج والحرية "وخصوصا بهذه المصاهرة، يصير ذا منفعة في هذه الأرض ومعنى ذلك في النهاية أنه يصير أكبر مدافع عن بقائها لصاحبها والبنات بعد ذلك مهما كانت فهي امرأة إن تزوجت بشيخ البلدية أو بغيره فما الفرق، لولا ما يخشاه من ضياع أرضه لاستطاع أن يدعها تعود إلى الجزائر ومواصلة دراستها، ولأمكنه أن لا يرغمها على الزواج إذا لم تكن راضية"¹.

انطلاقاً من ملاحظاتها الفرق بين معاملة المرأة في الريف ومعاملتها في المدينة تتساءل نفيسة: "فلماذا الخروج هنا عيب وهناك لا؟ أهنا مسلمون وهناك ملحدون؟ أم أن المرأة تتبدل حقيقتها من مكان إلى مكان"²، إنها متأكدة من أن حقيقة المرأة واحدة في كل مكان وإنما الاختلاف يكمن في معاملتها وكذا في قدرتها على الدفاع عن نفسها أمام المجتمع، فالمعاملة المختلفة لها في المدينة والريف خلقت مفارقة كبيرة، فالمرأة في المدينة جريئة كفاية على صاحبها في الريف التي منعت من التعبير عن رأيها بحرية "هناك دائماً تبحث عن طريقة

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 91.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 216.

لإبراز ما قد يخفى فيها من جمال وهنا تبحث دائما عن أقدم طريقة لإخفاء الجمال القبح معا¹.

والمرأة في المدينة حرة في الذهاب والرواح، أما في الريف فمحكوم عليها بملازمة المنزل، بل بعدم الخروج طوال حياتها إلا ثلاث مرات²: من بطن أمها إلى الدنيا ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها ومن بيت زوجها إلى القبر.

والمرأة في الريف تعاني حزنا شديدا، ومما يضاعف من حزنها أن رجال الدين في الريف لهم الكلمة في كل ما يخص المرأة، يتدخلون في الملبس "الدين له كلمة حتى في الملبس، عليها أن تلبس أثوبا لا تسمح للنور بلامسة جزء من ساقها أو ذراعها أو صدرها، وليكن الحر شديدا أو خفيفا ذلك لا يهم، الحظ أيضا له كلمته"³، والفتاة بشكل عام سواء في المدينة أو في الريف تلجأ إلى أمها في الأوقات الحرجة تستشيرها في حياتها الخاصة، وتلتمس منها العون والتأييد لمواقفها، لكن نفيسة لم تستطع أن تفعل هذا مع أمها لسببين:

• أولهما: أنها تعرف مدى هيبة أبيها على أمها.

• وثانيهما: أن أمها ما تزال تعتبرها بنت صغيرة وتعاملها معاملة طفلة⁴.

لم تستطع أن تستفيد من أمها شيئا فوجدت أن الحل الوحيد هو الاعتماد على نفسها في البحث عن وسيلة تتجيبها من هذا الزواج الذي فرض عليها من طرف أبيها "ترفض؟ ذلك لا يكون أبدا، إن قراري ينفذ مهما كان الأمر"⁵.

والملاحظ أن لدى نفيسة موقفين تجاه المرأة في الريف:

¹ المصدر نفسه، ص216.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص88.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص20.

⁵ المصدر نفسه، ص92.

أولهما رومانسي: خالص يدل على وعي وثقافة وهي تعيش حالة مقارنة بين الحياة التي تحياها في الريف، وبين حياة الأميرات، وهذه المقارنة صادرة عن فتاة رومانسية تعيش عالمين اثنين، عالم الأحلام، وعالم اليقظة، فالأحلام كانت مع أنغام الراعي رابح، منذ أن فتحت النافذة وهي تسمع أنغام ناي حزينة متقطعة آتية من بعيد أفرغ فيها صاحبها كل ما يفيض به قلبه من حنان ووحدة وشوق، أنغاما صافية عذبة¹، أما اليقظة فكانت في السجن الذي تعيشه في الريف.

وثانيهما: موقف نظري يدل على وعي بقضية معاناة المرأة في الريف، وحريتها في المدينة، فهي ترى أن سبب تعاسة المرأة الريفية، إنما هو الجهل جهل المرأة والرجل على السواء "المرأة مخلوق شاذ يجب ألا يعامل معاملة الأسوياء ... الخروج عيب... الضحك عيب... كل شيء عيب! قيمة المرأة ليست فيها تحسن أو تعمل السنة النار فيها حسب ما أنفق هي ميزانها..."².

ويعد الموقف مع نفيسة موقفا واعيا له دلالاته المرحلية المؤكدة فالجهل فعلا هو الذي أساء إلى المجتمع بصفة عامة وإلى المرأة بصفة خاصة، باعتبارها عضوا في المجتمع فلو اعترف الرجال بهذه العضوية للمرأة، وأدركت هي أن الحقوق لا تتال بالخضوع المطلق لإدارة الرجل لاستقامت العلاقة بين الرجال والنساء، ولاتفق المجتمع البحث عن سبيل يفيدهم كأفراد ومجتمعات.

وهذا الموقف من قبل نفيسة هو عين الصواب، وإن كانت تبالغ في التحدث عن الامتياز المطلق للرجل، وعن فقدان المرأة كل حظوظها وحقوقها في مجتمع رجالي ريفي.

فالمرأة الريفية متمثلة في شخص نفيسة إلى أبعد الحدود، حيث أن نهاية هذه الفتاة المثقفة مأساوية رغم أنها حاولت قدر الإمكان تجنبها ولكن الظروف عاكستها ولم تمكنها من

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص13.

² المصدر نفسه، ص36.

مبتغاها، هذا الإحساس أو الشعور وحده الذي يدفعها إلى اليأس والإحباط، فهي تشعر من اللحظة الأولى أن حياتها ليست ملكها بل في يد غيرها فهي مخلوق ضعيف أو بالأحرى آلة يسيرها إنسان أقوى منها، فتشبهه نفسها متأثرة بحالتها النفسية بالقطار السائر في خط واحد لا ينحرف عن يمينه ولا عن شماله "حياتي أيضا أراد أبي أن تكون كالطريق الحديدي إن خرجت عنه وقعت في الهلاك"¹.

وبهذا التحليل الساذج والمبسط تعالج الأم خيرة قضية ابنتها وزواجها، ومدى حرية المرأة الريفية في اختيارها لزوجها، وبناء مستقبلها كامرأة لها حقوق في الحياة لكنها وإن كانت مستاءة من زوجها الذي لا يعطي لرأيها أي وزن أو قيمة، إلا أن ذلك لا يهمها لا في القليل ولا في الكثير: "تعتقد أن الأب هو صاحب الحق في تزويج ابنته بمن يشاء وكيف يشاء"². هذا الموقف من الزوجة أو البنت لا يختص بطبقة دون أخرى، فهو موقف مشترك بين كل الطبقات الفقيرة منها والثرية، وهذا ما اكتشفته نفيسة في الراعي رابح من حكمه على أمه فهو رجل ريفي فقير تربي في كنف أمه، إلا أنه المتصرف الوحيد في البيت، فالمشكلة ليست متعلقة بالمجتمع الريفي المختلف، والرجل الفقير دون الثري بل هي عامة.

انتظرت نفيسة أياما رد خالتها لكنه لم يصلها أي رد، فكرت في حل أكثر جرأة وقوة وأرادت الخيار بين أمرين: إما أن ترضى بمصيرها في القبول بالزواج من رجل لا تعرفه، وإما أن تتدبر أمرها بكل جرأة وسرعة، وأخيرا وقع اختيارها على الأمر الثاني فقررت الثورة والتمرد على سلطة أبيها، وأعلنت رفضها عاليا بغرض إفساد خطة أبيها وكان لهذا الإعلان صدى قوي أدهش أمها وأثار استغرابها لما رأت ابنتها في هذه الحالة العصبية، اقتربت منها محاولة تهدئتها لكنها رفضت بكل قوة، وقررت أن تخرج من المقاومة السلبية إلى المقاومة الإيجابية، فقد بادرت أمها بهذا الإعلان صارخة في وجهها بهدف إيصال رفضها إلى

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص216.

² المصدر نفسه، ص205.

مسامع أبيها، لكنها تأكدت أنها لن تحقق شيئاً بهذه الطريقة سوى الصراخ الذي لا طائل منه "مع أقصى محنة في الحياة تبقى للمرأة حرية الاختيار"¹. وقررت ألا تتراجع مهما كانت العاقبة، فالموت أصبح لديها أهون من حياة تقضيها في الكآبة والندم، فهي إن ضعفت وتراجعت بحجة الضرر الذي قد يصيبها أو يصيب أمها، تضع بذلك مصيرها بين يدي غيرها إلى الأبد، والملاحظ أن المرأة الريفية تذوب في الوسط العائلي، حيث تنام معهم في فراش مشترك، وغرفة موحدة، لكن المرأة في المدينة لا تستطيع فعل ذلك، فهي تحب العزلة في غرفة منفردة، وفراش منعزل تستطيع النوم مع أمها وأخيها في الفراش العائلي، بل تفضل الحجرة الضيقة على الذويان النسائي في الأسرة.

وهي تحس بأنها في منفى وتحسد كل الطلبة الذين يفرحون بعطلتهم التي يقضونها في المدينة "كل الطلبة يفرحون بعطلمهم أما أنا فعطلتي في منفى"²، وامرأة المدينة مثقفة، متعلمة نؤوم، لا تتقن أعمال المنزل ولا تبدي أهمية للديانة وهو ما لا يعجب سكان القرية رجالاً ونساءً، خاصة إذا كانت فتاة في سن الشباب ومتشعبة بأفكار فرنسية، أما المرأة الريفية تنهض مع بزوغ أول فجر وتقضي فرائضها في أوقاتها، وتتقن كل أعمال المنزل وهو ما تعتبره امرأة المدينة موت وفناء للحياة "الصلاة... لا يعرفون هنا إلا الصلاة والموت، أما الحياة فهي وسواس الشيطان"³.

والمرأة المدنية تتأثر بالغناء الصاخب الشرقي أو الغربي، تعمل بالشركات والمصانع والمحلات والمدارس، والجامعات والفنادق الفخمة، لا تؤمن بالخرافات والترهلات أما في الريف فتتأثر بأنغام الناي الهادئة الحزينة، تصنع الفخار المتوارث عن الأمهات تؤمن بكل ما يشاع في القرية من قصص وأساطير خرافية كالجن والسحر والشعوذة وتجعل من يوم الجمعة يوماً مفروضاً لزيارة الموتى، وقص أخبار القرية عليهم والبكاء عند قبورهم وتغطيتها

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1976، ص88.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1970، ص10.

³ المصدر نفسه، ص13.

بالأواني، على عكس امرأة المدينة التي لا تحب زيارة المقابر إلا نادراً، والمرأة الريفية تتزوج دون أن ترى الزوج أو تختاره أو تحبه أو تعرفه، ولا قيمة لرأيها أو رفضها أو رضى أمها، ورغم صغر سنها فهي لا تتجاوز الثامنة عشر حتى تصبح ربة منزل وبمهر ضئيل، ولا يهم ماذا سيطراً عليها بعد الدخول بها إن ماتت أو هربت، انتحرت أو عادت إلى بيت أبيها، ولا يهم مصير أمها إن حزنت أو ماتت.

إضافة إلى توارث استعبادها من أبيها إلى أخيها ثم زوجها، أما المرأة المدنية فهي تتزوج ممن تحب وسبقت لها علاقة معه، وتعرفت عليه، يؤخذ برأيها ورأي أمها بعين الاعتبار، وذلك لا يكون قبل تجاوزها الثالثة والعشرين من العمر وبمهر مرتفع وهذا ما جعل ظاهرة النساء البائرات تنتشر في المدينة، وترفض العيش في الريف لأن حياته شبيهة بعصور ما قبل التاريخ، وهي تعلم أن العيش مع زوجها حياة حضارية معقدة كحياة الملوك والأمراء.

والمرأة الريفية يعيب عليها الخروج من المنزل لأي سبب مما جعل نفيسة تغار من أخيها عبد القادر، أما المرأة المدنية فتخرج متى أرادت، وتذهب حيث ما شاءت والمرأة الريفية عندما تبلغ الرشد يتدخل الوالدين والدين والمجتمع في ملابسها، فيجب أن تستر كل جسمها، ولا يسمح لها بإبراز أي عضو من جسمها سواء في الحر أو البرد ولا تضع أي شيء من المساحيق إلا قليلاً من الحناء والكحل أو السواك، أما المرأة المدنية فهي تلبس ما يحلو لها من ملابس سواء كان مقصفاً قصيراً ضيقاً أو واسعاً، ولا يتدخل في ملابسها، ماكياجها ومساحيقها أي فرد مهما كانت مكانته.

والمرأة الريفية تضع أدوات الزينة وتتخلى عنها في المناسبات الحزينة ولا سيما الموت، وذلك للارتباط القائم بين الناس الذين يعيشون في بيئة واحدة، فالريف مجتمع مصغر يشارك كل فرد فيه الآخرون همومهم ومتاعبهم، أحزانهم وأفراحهم "كانت أزرعهن

وأرجلهن لا تحمل أساور وخلاخل، ولا تحدث بحركتها أي ضجة حديدية¹، على عكس المرأة المدنية التي تذهب بهذه المناسبة بما تلبس من ملابس، وما تضع من مساحيق وحلي، أي الهيئة التي كانت عليها عادة، فالمرأة الريفية والمرأة المدنية تعيشان صراعا واحدا، رغم اختلاف المكان والواقع المعاش "الريف والمدينة" ويتمثل في كفافها من أجل التحرر والتغلب على منطق الوصاية الرجالية عليها، إضافة إلى أن المرأة الريفية المستقلة والمجردة من كرامتها الإنسانية تسعى لتحطيم القيود، ونسف العادات والتقاليد الخرافية البائدة، وعلى الرغم من هذا فهي تمثل أصالة الريف الجزائري عبر العصور، أما المرأة المدنية فتمثل التعلم والثقافة والحضارة والسعي نحو التقدم، فهي تمثل مرحلة من مراحل تطور المجتمع الجزائري.

3/ المرأة بين الطموح الذاتي وواقع الرجل:

لقد عالج الكاتب عبد الحميد بن هدوقة في روايته "رياح الجنوب" قضية المرأة وحاول تطبيقها على الواقع واعتبرها جوهرية الصراع الاجتماعي القائم على الاعتراف بالصراع الدائم بين الرجل والمرأة، ففي ماذا يتجسد الطموح الذاتي للمرأة؟ وما مدى اصطدام هذا الطموح بواقع الرجل؟

نفيسة كانت تطمح إلى إكمال دراستها وخروجها من سجن البيت والقرية لذلك رفضت الزواج من مالك بن خضرة شيخ البلدية ولكن رفضها لم يجد الصدى المطلوب لدى والدها، لذلك قررت الهروب بعد أن يُست من كل مساعدة وأحبطت في وجهها كل وسيلة "أود أن أرى الدنيا، إنني اختنقت في هذا السجن"، "أبوك يعتزم تزويجك"، "قولي له لن أتزوج ولن أنقطع عن دراستي سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال"، "وإلا فسأجد نفسي مضطرة في النهاية لإيجاد حل بنفسي لمصيري مهما كانت عواقب هذا الحل"، "الرضوخ؟ لا الفرار، فكرة ... الفرار ولم لا؟ شيء من الجرأة والتدبير يكفي لأن أتخلص نهائيا من هذه المأساة"². لكن

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 173.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 20 - 87 - 88 - 93 - 217.

هذه الفتاة المسكينة تصطدم بواقع أبيها فتجد نفسها بعد حادث مقتل الراعي وأبيها مضطرة إلى أن تعود إلى المنزل بعد أن فرت منه، ووقعت بسببها كل تلك المشاكل "وقررت مغادرة بيت الراعي والرجوع إلى دار أبيها، وتطور الحوادث قلب مشروعها رأسا على عقب، فهي كانت تعتزم السفر إلى الجزائر في هاته الليلة بعد كل ما وقع لم يعد ممكنا هذا السفر، دخلت إلى البيت فأخذت حقيبتها وأدواتها وخرجت"¹.

فنفيسة هنا ذهبت طموحاتها الدراسية ضحية واقع والدها المستبد والمستغل لها من أجل الحفاظ على مصالحه الشخصية تحت شعار "الأبناء هم الحل"²، أما الراعي رابح فقد كانت نفيسة تطمح من وراء استغاثتها به نجاح آخر أمل لها في النجاة من هذا الزواج وإكمال دراستها فطلبت من رابح إيصال الرسالة للبريد لتصل إلى خالتها في العاصمة فتتقدها من المأزق "إنها تشير إليه بالاقتراب ولا شك في ذلك!، اقترب رابح من النافذة في حذر فقالت له نفيسة: رابح هل تستطيع أن تذهب إلى البريد؟، لكن البريد بالقريبة المركزية!"، تردد للحظات ثم قال: "إن شئت أذهب غدا، هذا المساء أطلب من أحد الرعاة أن يرعى الغنم غدا مكاني وأذهب"، "عندي رسالة أريد إرسالها، وأود أن لا يعلم أحد ذلك"، "وكيف تريد أن يعلم بها؟ أنا لا أقول لأحد"، "ها هي الرسالة، احتفظ بها، ضعها بيدك في البريد، إن الطابع ملصق عليها"، "كوني هنيئة سأضعها بيدي ... ولن يعلم بها أحد"³، لقد توهمت أنه غبي وتصورته لا يعرف من الدنيا إلا عزف الألحان ورعي الغنم، "هو أمير طيب ساذج لمملكة وديعة وهادئة هي مملكة الأغنام، مملكة آفاقها تتغير في كل لحظة بتغير المراعي"⁴، أما الراعي فقد كان ذو نوايا خبيثة حيث جعل من نفسه المدرك لكل الحقائق وأن المرأة واحدة سواء أعاشت في البادية أم المدينة "هي تود شيئا آخر وتنتظر بإرسال الرسالة،

¹ المصدر نفسه، ص 265-266.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 48.

³ المصدر نفسه، ص 94.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 95.

ظننتي غيبا لا أفهم ما تريد"¹، فراح كان مدفوعا بغريزته الجنسية وتربيته القروية في تفسير لنفيسة بأنها فتاة سانجة يقول الكاتب: "إن نفيسة أكثر من أي فتاة أخرى كانت في تقدير رابح فتاة سانجة هو في هذا التقدير يشارك معظم القرويين في هذه الناحية من أن سكان المدن قلما يصل بهم ذكائهم إلى إدراك مكونات الرجل القروي وسذاجة نفيسة أكدها لديه ابتسامتها له وهي تحدثه"².

وفي المساء بعد مغادرته للمنزل، تفقده ليعود إليها كاللص ليقابل نفيسة لكن أشياء كثير لم تخطر بباله: "ربما كان عدد الخلايا التي يرتكب منها جهازه العقلي ضئيلا جدا لأن الحياة التي يحيها ليس فيها جديد أيضا"³، فأفكار الراعي ومعارفه يمكن معرفتها وعددها عدا ميسورا لكن من أين له أن تأتيه المعارف وهو ابن بكماء، ويتيم الأب، وثقافته اكتسبها من بعض الرعاة مثله، "معارف لا يمكن بحال أن يعقد حياته ولا خواطره فضلا عن أن تحول بينه وبين شهواته"⁴.

ودار بباله خواطر كثيرة منها أنها ستقدر له جرأته وشجاعته، وستربط حياتها بحياته، وستنظر إليه بعين الإعجاب والإعجاب "لكن الشيء الأكيد أن نفيسة تقدر فيه هذه الجرأة التي لا شك أن سكان البادية وحدهم يتميزون بها وأنها لا تدرك أن الضحك للرجل إغراء"⁵، وتسلل رابح إلى غرفة نفيسة حذرا ووجدها نائمة فأيقظها لكنها جذبت الغطاء بيد ودفعته بالأخرى بالقوة بعنف وطردته وشتمته قائلة "أخرج من هنا أيها المجرم! أيها القذر، أيها الراعي القذر!"⁶، عندما أحس بقيمته وأدرك خطأه وخرج من بيت ابن القاضي مطأطأ الرأس الرأس منذ ذلك اليوم قرر الراعي تغيير عمله وأصبح حطابا، وأمسى يشتم نفيسة ويحقد

¹ المصدر نفسه، ص96.

² المصدر نفسه، ص100.

³ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص100-101.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص101.

⁵ المصدر نفسه، ص105.

⁶ المصدر نفسه، ص108.

عليها كلما تذكرها بقوله: "لكنها هي الكلبة وهي ابنة الكلب من قال لها تضحك لم أضحك لها أنا الأول، ولم أفكر فيها هي التي بدأت بالضحك ... الفاجرة ... ثم تشتمني..."¹.

لكن رابح فيما لم يرد الانتقام من نفيسة عندما وجدها مرمية على الأرض بل أنقذها من الموت، وعالجها من اللدغة، وآواها في بيته وعندما أراد أن يحقق أمنية نفيسة في الفرار من القرية والعودة إلى العاصمة حدثت الكارثة، وذهب ضحية ابن القاضي وغضبه، فنفيسة كانت تطمح للفرار من الزواج، والثورة على سلطة أبيها لكن ذهبت طموحاتها هباء منثورا أمام واقع الرجل -الراعي رابح- الغريزي الخبيث الذي ينظر إلى استغاثتها به مجرد وسيلة للتقرب منه.

وفي الأخير وجدت نفيسة نفسها أمام واقع مر تمثل في مقتل رجلين هما: رابح وابن القاضي، بسبب طموحاتها في النجاة والفرار وثماناً لأفكارها المستقبلية فلهذا السبب تخلت عن طموحاتها أمام واقع الريف المرير الذي يسيطر عليه الرجال، وتتحكم فيه التقاليد والأعراف البائدة، ونفيسة أرادت أن تبعث برسالة إلى مالك تشرح فيها كل ظروفها، وتخبره أنها غير قابلة به زوجا، لكنها بقيت متخوفة من ردة الفعل لأن الرجال في نظرها مهما كانت مظاهرهم فهم أمام المرأة إما ضعفاء منافقون أو أشداء متقطرسون لأنهم مستعدون لاستعمال أي وسيلة للحد من طموح المرأة ووضعها أمام واقعهم إذ تقول نفيسة بعد تفكيرها: "ثم من يضمن أن لا تستعمل رسالتي سلاحا ضدي؟ وحتى لو لم يفعل سوف أبقى مدينة له بحريتي إلى الأبد ... لا، لا أفعل هذا أبدا يجب أن أختار طريقا آخر..."²، فقد كانت قبل مجيئها من الجزائر خالية الذهن مما قد يحدث لها بين أربابها من مفاجآت مؤلمة، فقد قررت أن تتحمل العزلة، وحياة البداوة الخشنة، المهم أن تعود إلى الجزائر فيما بعد، لكن أباه كان يسعى لتحطيم آمالها ووضعها أمام قضائه.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، ص127.

² عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، ص202.

يقول الكاتب: "ولكنها لم يخطر ببالها أبدا أن أباهما سوف ينتبه لصدرها الناضج وأردافها المحكمة وتحدثه نفسها بتزويجها ... كانت محنتها إذن قاسية تمتزج فيها الخيبة باليأس وكانت حيرتها مؤلمة، فهي لأول مرة تجد نفسها وجها لوجه أمام ما كانت تقرأه حول المرأة التي في الإرث لها نصف حظ الرجل، وفي الحياة لاحظ لها معه مطلقا فهو أبدا السيد سواء كان زوجا أو أبا أو أخا أو ابنا ..."¹.

فالمراة في نظرها لاحق لها في أن ترفض الحياة إلى جانب نساء أخريات يشاركنها زوجها الذي فرضهن عليها، وهي التي تحمل الرجل في بطنها ابنا "وبين جوانحها زوجا وهي التي فوق هذا كله أنجبت للأرض على مر القرون أنبياءها ورجالها الأفاضل"²، وهي التي تضمن للإنسانية البقاء والتواصل مهما تداولت عليها الحروب والنكبات أو أسباب الفناء، فالرجل يرى أنه في عالم النساء المتميز بالمكر والخداع والخيانة ولذلك وجب عليه أخذ احتياطاته، لأنهن يظهرن درجة عالية من المزايا التي توحى بالخير الوافر، غير أنهن في الحقيقة شريرات يحرسن على مصالحهن الضيقة وهو ما جعل الرجل يحقد على المراة ويهدف إلى تحطيم آمالها وطموحاتها ليضعها أمام الأمر الواقع -حسب رأيه- أن لا طائل من وراء الذي يراه إيجابيا مضادا لسلبيتها.

فالرواية عكست الوضع الاجتماعي الذي عاشته نفيسة وجسدت الصراع النفسي الذي عانته بين المثال والخيال، وما تضمنته من طموحات وأحلام ذاتية، وتطلع إلى المستقبل باعتبارها امرأة بين الواقع الصعب في البداية، وما طغى عليه من تصورات ومفاهيم سلبية، واستحضرت نفيسة مجموعة من تصرفات الرجال وأقوالهم التي يتقوون بها، وأفكارهم المرسخة في أذهانهم وحددوا بها غالبا نموذجا مشوها عن المراة قائما على كراهيتها واحتقارها، وقد أدانت بشدة هذه العقلية الموروثة، ولكنها شعرت بالعجز عن المقاومة وتقرير

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص202.

² المصدر نفسه، ص203.

مصيرها بنفسها، لأنها وهي أمام واقع الرجل واستبداده كمن يضرب الريح بالعصا، وبذلك أيقنت نفيسة أن لا طائل من وراء ثورتها بيد أنها لم تجد من يقف معها ويشد بأزرها ويشاركها في أمورها وهمومها، "وهذا ما جعل ثورة نفيسة ثورة فردية ولكننا نعتقد أنه قصد بذلك قبل كل شيء الإخلاص للواقع، فلو كانت نفيسة تريد أن تثور في مدينة كبيرة أو حتى في مدينة متوسطة حيث يتوفر العنصر النسوي ... وحيث تتوفر التنظيمات النسوية المختلفة ... التي تسمح بمشاركة المرأة فإنها كانت بدون شك ستجد بجانبها نساء أخريات يشاطرنها أفكارها ويشعرن بشعورها، أما وقد وجدت في هذه القرية الصغيرة النائبة المنعزلة، فإن عليها ومسؤوليتها وحدها"¹.

فنفيسة لها طموح نحو تغيير واقع المرأة، ولو وجدت من يساندها لاستطاعت تحقيق ذلك دون أدنى شك، لكن واقعها لا يسمح لها بذلك، ومنه فهي مجبرة على تحمل القدر مهما كان، ومن بين "الأمر التي تقف في وجه نفيسة الدين الذي يتدخل حتى في الملابس، والحظ الذي يقف ضدها، والغيبات والظروف الخارجية التي تتحكم في مصيرها والتقاليد البدائية المقيدة لسلوكها"²، وكانت نفيسة مسننه الذهن ومصدومة بواقعها المرير إلى درجة أنها كانت تتمنى لو نامت حتى تنقضي عطلتها، إذ يقول في هذا الصدد مصطفى فاسي: "وما أن استيقظت نفيسة حتى أخذت تصب سخطها على البيئة وتتوق إلى الرجوع لدراساتها قريبا في العاصمة"³، إن عيش نفيسة ودراساتها بالجزائر جعلها لا تستطيع التأقلم مع حياة الريف فهي فتاة مثقفة، واعية "وهي الطموحة لحياة أميرية، أرستقراطية، طبقية"⁴، لديها عدة طموحات لكن عودتها إلى بلدتها جعل طموحاتها تلك تتلاشى وتضمحل لأن أباه أراد تزويجها بمالك شيخ البلدية وكان يرى في ابنته "أحسن وسيلة أن يتقرب بمالك برابطة تقيده،

¹ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 17.

² المصدر نفسه، ص 15.

³ عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 2009، ص 200.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خاصة أن له بنت متعلمة، فتاة جاوزت سن البلوغ... فكانت هي الحل والفرصة متاحة وقد عادت نفيسة من الجزائر حيث تدرس فلأبنائهم الحل ونفيسة ينبغي أن تكون حلا للحيلولة دون تأميم أراضيته"¹.

فصحيح أن نفيسة تنتمي إلى الريف، وتصحيح أنها تعلمت في المدينة، وصحيح أن الريف الذي تنتمي إليه ظل محافظا غير أن هذا ما سيتناقض مع أفكارها حيث تقول: "في الجزائر كان المستقبل وحده الذي يهمني أما هنا فأبي هو المستقبل، أبي هو مالك مستقبلي، أبي الذي أعطاني الحياة، أبي مالك حياتي أولا وأخيرا ... أبي يملك حياتي وحياة أمي... حياة المرأة ملك الرجل"².

لم تتأقلم نفيسة مع الحياة الريفية، وكانت دائما ثائرة على القيد المحيط بها وعلى سلطة أبيها القمعية، فبعد حلمها وأملها بالعودة إلى الجزائر بعد انقضاء العطلة لمواصلة دراستها تصدم من قرار أبيها الفجائي المتمثل في تزويجها بمالك شيخ البلدية لمصلحة بينهما، لذلك كانت نفيسة هي الضحية الحل النهائي بالنسبة لوالدها "فالرجل الريفي التقليدي المتسلط في أسرته أي يمثل السلطة الأبوية والحكم الفردي الذي لا يعارض ولا يناقش، حيث يمثل الأب دائما سلطة القمع الاجتماعي التي تعارض، سلطة الأب في مواجهة جميع أفراد الأسرة من جهة، ثم سلطة الرجل في مواجهة المرأة"³.

وبما أنها تحب العجوز رحمة وتلجأ إليها وقت الشدة كانت تشكوا لها آلامها قائلة "إن الدنيا تبدلت يا خالة تبدلت، إن جهل الرجال هو الذي أطلق ألسنتهم بالسوء فينا، وإن جهل المرأة هو الذي جعلها تحيي بين عبودية الآباء والأزواج"⁴، والسلطة الممارسة على نفيسة

¹ المرجع السابق، ص201.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص10.

³ مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص9.

⁴ المصدر السابق، ص37.

من قبل والدها هي ما كانت سببا في تحطيمها وتحطيم طموحاتها المستقبلية التي كانت دائما تحلم في تحقيقها.

4/ المرأة في كتابات عبد الحميد بن هدوقة:

الملاحظ من خلال رواية "ريح الجنوب" أن الروائي عبد الحميد بن هدوقة لم يكن يكتب كي يرضي، أو بدافع أن يستجيب لرغبات سياسة متفاوتة في التفاؤل بقدر ما كتب عن الأوضاع الجزائرية سابحا في أعماق أعماقها، فبالإضافة إلى كونه أحد المؤسسين للرواية العربية في الجزائر، نراه يعالج موضوع المرأة دون لف أو دوران حيث كتب عنها وعن جسدها وآهاتها في روايته "ريح الجنوب" التي أدخل فيها المرأة كإنسان له دوره الكامل كجسد وعقل وأحاسيس ومشاعر، 'ذ تقول الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي في هذا المجال: "هي أول عمل إبداعي أدخل فيه المرأة لها جسد وشهوات إنسانية، وأنها عضو فاعل في المجتمع الجزائري"¹.

وبذلك نجد أن بن هدوقة وضع المرأة في المقام الأول، لأنها أهم مدرسة، فالمرأة احتلت المكانة التي يجب أن تحتلها في أعماله المختلفة، إجمالا تعد المرأة والأرض والمستقبل وكل قضايا الحياة مركز اهتمام بن هدوقة إذ نجد في روايته "ريح الجنوب" قد صور المرأة معتبا في ذلك بالشكل الخارجي دون الخوض للكشف عن الصورة العميقة التي لا تتبدى بسهولة للقارئ ومن بين الصور التي اهتم بها بن هدوقة الصورة الاجتماعية والصورة الجسمية وكذا الصورة النفسية والتي سندرسها كالتالي:

¹ الطيب ولد العروسي، أعام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، (د، ط)، 2009، ص156.

5/ صورة المرأة في الرواية:

1- الصورة الاجتماعية:

أ- الصورة الاجتماعية النفسية:

من خلال الرواية نجد أن شخصية نفيصة اجتماعية ملتصقة بواقع معقد ذات أصل إقطاعي، عاشت الثورة المسلحة قبل الاستقلال ونعيش الثورة الاجتماعية وملاحم الاتجاه الاشتراكي بعد، فهي تعيش عوالم ثلاثة متباينة، عالم الريف وعالم المدينة وعالم الكتب، يقول الكاتب: "فكرت نفيصة قليلا في كلام العجوز حاولت أن تتصور جدواه من خلال ما تحلم به من حياة لها في المستقبل، فلم تجد أي نقطة للمقارنة بين هذه الحياة الساذجة البسيطة التي يحيها أهلها وكل سكان البادية وبين الحياة الحضارية المعقدة التي عاشت منها قليلا لدى خالتها بالجزائر، وقرأت عنها الكثير في الكتب والقصص السينمائية... إنها لا تفكر في الزواج بالبادية والحياة فيها فذلك أسفل ما يمكن أن ينزل إليه خيالها"¹، ضف إلى ذلك أن نفيصة مثقفة ثقافة فرنسية منحنتها التغريب والابتعاد عن جوهر الحضارة الإسلامية العربية فنقول: "لا يعرفون هنا إلا الصلاة والموت، أما الحياة فهي وسواس الشيطان"².

ومن خلال قراءتنا أيضا للرواية نستخلص أن نفيصة تعاني أوضاعا اجتماعية مزرية تتجلى في الفقر والحرمان، ويتجلى ذلك في قوها: "الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار، وعرضها كذلك، بها كوة خارجية مطلة على جزء من البستان، ارتفاعها سبعون سنتيم وعرضها خمسين سنتيم، وفي هذه المساحة السرير القديم... وخزانة أشد قدما منه... وقرب الكوة منضدة ومقعد خشبي"³.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1970، ص33.

² المصدر السابق، ص13.

³ عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، ص8.

ومما سبق نفهم أن نفيصة ذات رواسب إقطاعية وثقافية تغريبية، وكغيرها من المثقفين تحب الإقامة في المدينة ولا تأتي إلى الريف إلا في زيارات موسمية أو تطوعية فقط.

ب - الصورة الاجتماعية للعجوز رحمة:

تتواجد العجوز رحمة في أعمال بن هدوقة بكثرة باعتبارها مربية ليتيم أو باعتبارها جدة كفيلة الأسرة، أو وحيدة البيت، والعجوز في رواية "رياح الجنوب" ترمز إلى جملة من الأمور حيث نجد لعجوز رحمة فنانة حرفية تصنع الفخار، إلا أنها ليست أجيرة، فلا يمكن أن نضعها ضمن الطبقة الوسطى، بل هي امرأة تعاني الفقر والحرمان وتشكو الجوع، وهي لا تجد حتى الحاجات الضرورية وقد أدرك رباح "أن الجوع هو الذي سبب لها الإغماء لا السقوط"¹، كما أن العجوز رحمة "ترمز إلى الوحدة بين الماضي والحاضر، والتواصل بين الأصالة والمعاصرة فمحافظة على الحرفة المتمثلة في صناعة الفخار تعطي المثال في تمجيد العمل والاعتماد على النفس، والتمسك بالأصالة، وتربطها بالأرض علاقة وثيقة، فهي تعيش في بيتها وحيدة لا مؤنس لها فيها إلا التراب الذي تجلبه من أماكن بعيدة"².

فالعجوز رحمة ورثت الحرفة عن أمها، حيث أن هذه الحرفة تنتشر في الأرياف وتمارسها أغلب النساء الريفيات، لكن الشيخوخة أثرت على العجوز فصارت تنتج كمية أقل من الأواني، فتأخذ مردوداً أقل بالتالي، مع ذلك فهي تهدي منها الكثير ولا تقبل استضافة آخرين لها إلا تحت الإلحاح، والعلاقة الاجتماعية في القرية فيها حد أدنى من التكافل العام، كالهبة والصدقة والإطعام الجماعي في المناسبات، وكرم الضيافة والنجدة، وتقدير الكبير وعبادة المريض، والعجوز رحمة التي فقدت كل أهلها وزوجها صار أهل القرية أهلها وصاروا يعاملونها وهم يشعرون كأنها أم لهم جميعاً وهي تعاملهم كأبناء، ومنه فهي اجتماعية لأبعد الحدود.

¹ المصدر نفسه، ص122.

² مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009، ص295.

ج- الصورة الاجتماعية لخيرة:

كونها زوجة عابد بن القاضي فقد منحها امتيازات مادية، وإن كان نمط المعيشة اليومي بسيطاً، فهي لا تتعرض للحاجة ولها مصاعها، ومع ذلك فهي تقوم بتربية الدجاج لفائدتها الخاصة وهذه عادة أغلب النساء، لأن الرجل في الريف عامة لا يتولى إلا المصاريف الكبيرة فقط، وهي تقوم بجلب الأغنام والخدمة المنزلية التي تشكو عبء القيام بها لوحدها، حيث يقول الكاتب على لسان خيرة وهي تشكو ابنتها للعجز رحمة "أنها تكره العمل، تكره أن تكون مثل أي بنت، تعين أمها في شؤون المنزل والبنت التي تكره العمل لا خير فيها"¹.

ومن خلال الرواية خيرة خاضعة لزوجها، وتسعى لرضاه، وباعتبار أنها شخصية روائية ثانوية فقد أضفى عليها الكاتب نوعاً من الرتبة وعدم التطور في الأحداث حيث أنها تعتبر منذ بداية الرواية إلى آخرها بالدموع، ولم تكن لها أية ثورة لا على زوجها ولا على أسرتها ولا على القيم والمبادئ الريفية التي تعيشها، وبالتالي تعتبر أسيرة النظرة الاستبدادية السائدة التي لا ترى المرأة إلا تابعا وخادما للرجل، ولعل بؤس أغلبية سكان القرية جعلها تدرك أنها محظوظة وعليها الحفاظ على زوجها وذلك لضمان مكانتها، وصورة خيرة تمثل الجانب الجامد من الماضي وموقفها تقليدي سلبي في عمومها وتعتبر التابع الذليل للرجل "زوجها"، وهي نقيض نفيسة فكراً باعتبارها مختلفة فكراً.

د- الصورة الاجتماعية لأم رابح:

أم رابح من الطبقة الفقيرة، ابنها يدعى رابح، يرعى غنم ابن القاضي مقابل مردود عيني ضئيل، تجاوزت الأربعين وهي في سن النضيج الذي يؤهل للقيادة في المجتمع بالرغم من أسماها البالية فهي جميلة الهيئة، خفيفة الحركة مشرقة المحي بكما، وسبب بكما

¹ عبد الحميد بن هذوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1970، ص 28.

يرجع إلى الوضع الاستعماري بحيث انتشر مرض "التيفوس" والمجاعة زمن الحرب العالمية الثانية، حيث أخذ الموت الكثير منهم وشوه الآخرين، وكان ابنها رابح يتكفل بالحد الأدنى من مصروفهما أما هي فذات نشاط وهمة في عملها المنزلي، مما يؤهلها للعمل حتى خارج البيت، وهي تخضع لسلطة ابنها حتى في القرارات الأخيرة يقول رابح: "لا، لا نستطيع أن نرفض، فأنا الذي أتصرف هنا"¹.

وعبر الصورة الاجتماعية لهؤلاء النسوة، رأينا الصورة الاجتماعية للقرية أو القرى عامة في الجزائر، بحيث تنفرد قليل من العائلات بحياة متوسطة ولا نقول مرهفة بينما تحيا البقية حياة ملؤها البؤس والعوز، حيث تقول إحدى النسوة: "لست أدري لماذا لا تكون جميلة... الأكل الطيب والراحة والظل... لو ذهبت أسبوعا واحدا إلى حقل تحصد لرأيت ذلك الجمال كيف يذبل"²، كما يعيشون في مجتمع يعاني الفقر حيث نجد الكاتب يقدم بعض المقاطع الوصفية لتعيين الصورة الاجتماعية الدالة على الفقر والحرمان والمعاناة³.

2- الصورة الجسمية:

الصورة الفيزيولوجية أو الجسمية تعد مكونا أساسيا من المكونات التي تتركز عليها الشخصية إلى الحد الذي يمكن تفسير بعض الشخصيات ظاهريا ببنائهم الجسدي ويمكن النظر إلى المكون الجسدي من خلال النمو الجسدي، العام الطبيعي، والصحة العامة وبعض الخصائص الجسمية.

أ- الصورة الجسمية لنفسية:

صور الكاتب بن هدوقة نفسية فتاة جميلة إلى أبعد الحدود مركزا في هذا التصوير على وجهة نظر الآخرين يقول في روايته "لاحظت العجوز لأول مرة أنها أمام امرأة لا تعرف

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص252.

² المصدر نفسه، ص189.

³ عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص283.

مثيلا لها في هذه القرية، امرأة قد تكون عاشت تجارب عديدة ولو أنها تحاول الظهور في أغلب الأحيان بمظهر الفتاة البريئة، كما لاحظت حسننا الباري في كل جزء من ملامح وجهها، فما هي ترى خطوطا رقيقة متوازية ترسم فجأة على جبين نفيسة... ثم هذان الهدبان اللذان يعطيان للنظرات عمقا وجمالا، ثم هذان الحاجبين الغريبيين... ليس هناك فتاة فيمن تعرف حاجبان كثيفا شعرهما بهذه الصورة! ومع ذلك فهما في هذا الوجه نموذج فذ للجمال¹، هذا بالنسبة للعجوز أما بالنسبة لرابح فقد بدت له "بيضاء جميلة كالقمر"²، "جميلة كالشهد"³، أما مالك في حضور نفيسة فقد كان "ينظر إلى الأرض مجتهدا أن لا تنزلق منه أية نظرة نحوها بالرغم أنه كان يحس وجهها أكثر مما ينبغي ويجد لذلك لذة خفية لا تقدر"⁴، وقد وصف لصديقه الطاهر بأن جمالها "سماوي"⁵، وحظيت نفيسة من وراء هذا الجمال بحب الكثيرين، منهم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يمثلون ثلاث اتجاهات فرئيس البلدية رآها شبيهة بأختها وفي ذلك تشبيه للماضي بالحاضر، وهي كأختها جسدت نقطة ضعفه، أما رابح فيكشف بعدها الطبقي عنه، ومع ذلك يضع نفسه في خدمتها وفداها، وقد دفعته دفعا إيجابيا إلى تغيير وضعيته الاجتماعية، وكذلك المعلم الطاهر الذي يكشف الهوة بينهما مما يشد اهتماماته الشخصية.

ب- الصورة الجسمية للعجوز رحمة:

لم يرقم الكاتب بتصويرها وهي عجوز بل كان تصويره لها في الماضي عندما كانت في أوج شبابها حيث يقول: "وكانت هي حينئذ فتاة عروبا تحمل عمرها في صدرها الممتلئ وفي شفثيها الباسمتين، وفي عينيها الممتلئتين أحلاما وآمالا وفي صوتها الصافي العذب..

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص37.

² المصدر نفسه، ص105.

³ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص107.

⁴ المصدر نفسه، ص62.

⁵ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص68.

أما الآن فأين هي تلك الفتاة من هذه العجوز المحطمة¹، يقصد بهذا أنها كانت في ريعان شبابها فتاة جميلة ساحرة غير أن الظروف المحيطة بها جعلتها تكبر وذبل شبابها وسحرها.

ج- الصورة الجسمية لخيرة:

لقد أهمل الكاتب الصورة الجسمية لخيرة، وذلك لأنه يفتقدها في مخيلته كما نفتقدها مع العلم أنه قد وفق في ذلك أيما توفيق، لأن جسدها ليس له أي وظيفة فنية في الرواية، ولكنه في المقابل نجده يعطي لوحة بصرية عابرة لمجموعة من النساء في المأتم ومنهن خيرة فيقول: "هن يلبسن أثوابهن العادية القديمة البالية أحيانا وأعينهن صافية من كل كحل وشفاههن في لونها الطبيعي، وأذرعهن وأرجلهن لا تحمل أساور ولا خلاخل ولا تحدث بحركة أي ضجة حديدية كن طبيعيات كما هن في كل يوم وكن بسبب ذلك جميلات طبييات حبيبات"²، صور الكاتب هذه الشخصية جميلة رغم كبر سنها إذ يقول: "ولعل أشد من أعجبت بها امرأة جاوزت الأربعين، كانت بالرغم من أسماها البالية جميلة الهيئة خفيفة الحركة، مشرقة المحي، وكانت أكثرهن نشاطا.. فلاحظت أن المرأة تلبس فستانا أزرق اللون تزينه أزهار صغيرة.. وكانت تشد وسطها حميلة من صوف محكمة بعقد من خيوط القطن الملون، وفي نهايته خصلتيها المتدليتين باقة من نوار خيوط القطن، كانت هذه الحميلة وردية اللون.. ثم انتقل بها فضولها من الملابس إلى الوجه فبدا لها جميلا منسجم الأجزاء رغم نضوب الشباب منه... بيد أن هذه المرأة التي غطى جمالها فقرها وصمتها حالها، لا يستطيع الكلام ولو رغبت فيه فهي بكماء، هي أم رابح راعي الغنم"³، فمن خلال الرواية يتبادر لذهن القارئ أن أم رابح ذات جمال طبيعي إلا أن بكماها كان سببا في إخفاء ذلك الجمال.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص138-139.

² المصدر نفسه، ص173.

³ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص173-174.

3/ الصورة النفسية:

البعد النفسي للشخصية:

ولعل أعقد الموضوعات في علم النفس موضوع الشخصية بحيث تبلغ الشخصية الإنسانية من التعقيد حداً يستحيل معه تقييدها بمفاهيم وتصورات جامدة، فمن الناحية السيكولوجية فإن تعريف الشخصية يدور حول السمات والقدرات التي يتميز بها شخص ما عن غيره من الأشخاص.

أ- الصورة النفسية لنفسية:

جاءت صورة نفيسة النفسية ذات شخصية منشطرة أشتاتا ومفتقدة إلى التكافؤ المنطقي، عديمة الاتساق في النظرة إلى الأشياء، مزدوجة الشخصية، يتعذر الحكم عليها ولا يمكن إخضاعها لمنطق معين، نفسيته موزعة أشتاتا بحسب الحوادث المتنافرة تجمع بين شبيئين متضادين في آن واحد معقدة تفكر في كل شيء ولا في شيء، "لم تكن تفكر في مخصص ولا في حياة أخرى واضحة الأفاق، إنما هي تفكر في كل شيء وفي لا شيء"¹، كما نجد أن نفيسة مفتقدة للنظرة الواضحة المنسقة في مجملها بل هي أشبه بشخصيات دوستوفسكي* إذا "يبلغ التصوير النفسي أقصى درجات التعقيد بحيث يتعذر الحكم على أشخاصه بإخضاع دوافعهم النفسية لمنطق معين، إذ يتجاوز فيهم -في آن واحد- ما هو جليل سام وما هو دنيا حقيير وتفتن العواطف المتضادة، فيستحيل تمييز خيوطها المتشابكة، ويصور دوستوفسكي فيهم هذه الحقائق النفسية دون أن يحكم عليها أو يعللها منطقياً، وبهذا يجلو أعرق الأغوار النفسية التي تحير من يشهدا"².

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب، ص9.

*من معالم المسرح الروسي.

² محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة ن بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص527.

ونضيف أيضا أن نفيصة تعاني حالة نفسية تتجلى في "رغبتها في الاستقلال برأيها وعدم الذوبان في المحيط العائلي وسلطته، ضيق في مجال حركتها وحجمه"¹، ويقدم بذلك الكاتب بن هدوقة وصفا وتشكيلا بصريا يستعير اللغة لتقديم صورة الغرفة وإحساس سكانها إذ يقول: "الحجرة ضيقة طولها ثلاثة أمتار وعرضها كذلك بها كوة خارجية مطلة على جزء من البستان ارتفاعها سبعون سنتيم وعرضها خمسون سنتيم، وفي هذه المساحة السرير القديم الذي تتام عليه نفيصة وحزانه أشد قدما منه... وقرب الكوة منضدة ومقعد خشبي"².

وبما أن نفيصة عاشت في المدينة عيشة متحررة تحررا واسعا فهي تخرج متى تشاء وحتى في الليل وتنفسح وتذهب للسينما والبحر، ولها حق الصداقة مع الجنسين لذلك عند عودتها إلى الريف "أصبحت تشعر بغربة وحنين إلى الجزائر العاصمة التي فارقتها منذ أسبوعين كاملين"³، معنى ذلك أنها لم تتأقلم وجو الريف الذي يسوده الصمت، وكانت تسعى دائما للحرية والاختبار قصد التغيير "الصمت، الصمت، الصمت! أكاد أجن من هذا الصمت قد تكون يقظة الموتى في أجدائهم تشبه يقظتي هذه، جدران أربعة سقف من خشب، وصمت! أكاد أختنق من هذا السكون وهذا الصمت!"⁴، نفهم من هذا الكلام أن نفيصة امرأة ثائرة على الأوضاع المحيطة بها وتسعى دائما إلى حياة أفضل تسودها الحرية لا السيطرة والتسلط، لذا نجد شخصيتها مشتتة بحسب الأحداث.

كما لا ننسى أنها متمردة ولكن ليس لدرجة أن تواجه أباهها بكل جرأة وكانت حائرة وعاجزة "كانت حيرتها، وحيرتها أكبر من أن تعود إلى سبب واحد، كانت حيرة جافة، صارمة تعبر عن عجزها أمام هذه الغيبيات الكثيرة الخارجية التي تخط للناس مصائر لا مناص لهم

¹ عمر عيلان، الإيديولوجيا بنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة (دراسة سوسيو بنائية)، الفضاء الحر، الجزائر، (د، ط)، 2008، ص 282.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 8.

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 8.

من حياتها، سواء لاعت آمالهم أم حطمتها أبوها يقرر منعها من العودة إلى الجزائر ومواصلة الدراسة ويقرر تزويجها، يختار هو من تتزوج به"¹.

وفي النهاية نجد بن هدوقة قد صور نفيسة شخصية تعارض كل سلطة أو سيطرة خارجية مهما كان نوعها، "ومن خلال رؤية نفيسة للعالم والناس يسعى الكاتب إلى التعمق في نفيسة الفتاة المراهقة ومشاعرها ويصور العلاقات الاجتماعية التي تربطها بالناس الذين حولها وما ينشأ بينهم من صراع وصدام، ويناح له أن يظهر واقع الريف لكن نفيسة مثقفة شغلة من الذكاء والوعي، عادت من الجزائر العاصمة لتقضي عطلة صيفية هادئة فإذا بها تحتك بواقع محتدم، وأب قاس، وأم متخلفة، وأوضاع محبطة"².

ب- الصورة النفسية للعجوز رحمة:

تتجلى صورتها النفسية في عدة أشياء نذكر منها:

"أنها عجوز تمتاز بالطيبة والتفاني في العمل، محبة الخير للجميع ومقابل ذلك فالجميع يحترمها ويقدرها حق قدرها"

"أن علاقتها بكل شخوص الرواية تتميز بالتفاعل والإيجابية في حين أن العلاقة بين هؤلاء في معظمها تتصف بالتصدع"³.

"تطمح للإبداع رغم كبر سنها لا يرد لها شيء عن عملها غلا الموت حيث تقول مخاطبة رايح: "لا أخاف الموت ولكن لا أحبه، أرأيت لو مت لبقيت هذه الأواني بلا إتمام"⁴.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، ص 87.

² سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت)، ص 293.

³ مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 292.

⁴ عبد الحميد بن هدوقة، رياح الجنوب، ص 123.

"أنها ترمز إلى الوحدة والربط بين الأطراف المتناقضة وعناصر الصراع الاجتماعي والطبقي، فهي ترمز إلى الوحدة بين الماضي والحاضر، والتواصل بين الأصالة والمعاصرة، فحافظتها على الحرفة المتمثلة في صناعة الفخار تعطي المثالي في تمجيد العمل والاعتماد على النفس، والتمسك بالأصالة.

"وفية دائما لزوجها الذي تزوره في المقبرة تتاجيه وتتحدث إليه عن حاضر القرية".

"ترمز العجوز رحمة إلى الصبر والحكمة وبعد النظر، فهي تعطي معلومات تمتلكها وحدها".

"لها نظرة مستقبلية، فهي ترجع إلى الماضي عند الحاجة كالإجابة عن سؤال أو انتقاد وضع معيش مثلاً"¹.

تبدوا العجوز رحمة اجتماعية فهي تعد بمثابة أم لكل وذلك بسبب عطفها وحنانها وتفهمها لهم فخيرة فتحت لها قلبها وشكت لها ابنتها، وفعلت معها نفيسة نفس الشيء فشكت عبوديتها وسخطها، ورايح الذي كانت تقترح عليه تناول الأمور بحكمة وواقعية، وعلى حسب المثل الشعبي: "لا تكن حلوا فتبلع ولا تكن مرا فتدفع"²، ومنه فإن العجوز رحمة اجتماعية وذلك لصدقها وتفهمها.

ج- الصورة النفسية لخيرة:

صورتها النفسية في الرواية تكمن في تقديرها وخضوعها لزوجها أغنى رجل في القرية، يوفر لها عيشا ميسورا، ولكن هذا الخضوع أصبح يشكل جزء من شخصيتها فهي عالية الصوت عندما تتكلم عن زوجها ومقاصده، ومخفضته عندما تتكلم عما هو شخصي، وهي تأمن بأن "من لا يحدثه قلبه لا يفيد تذكيره.. ولذا فهي لا تحاول إقناع زوجها برفض

¹ المصدر نفسه، ص295.

² عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص28.

نفيسة للزواج أو حتى إشعارها بمسؤولية الأمومة في هذا الموضوع¹، كما لا تحاول إقناع ابنتها بالمشاركة في العمل المنزلي رغم شعورها بالإرهاق والغبن فكل ما يقع تفسيره بأنه قضاء وقدر، وتلجأ إلى الصلاة والبكاء والصدقات فهي تؤمن بالجن والسحر وفاعليته والأحبة التي تكتبها الشيوخ، تبدو مع ابنتها انطوائية وتعبر عن مشاعرها أو التفاني في الخدمة فتقول: "جرح الكبد لا يضر إلا صاحبه"²، أما مع زوجها ابن القاضي فهي تسعى إلى كسب احترامه، أمام العجوز رحمة تبدو انبساطية واجتماعية لصدق العجوز معها، ورغم شكاها للعجوز رحمة عن نفيسة إلا أن حنان الأم جعلها تعطف ويحن قلبها لابنتها "وعندما افتقدت ابنتها احتملت بدموعها"³، وكل هذا بعد هروب نفيسة تاركة مكانتها في قلب أمها الحنون.

د - الصورة النفسية لأم رابح:

تبدو أم رابح البكماء امرأة صلبة لا تلين، متحدية للظروف القاهرة المحيطة بها فرغم بكما إلا أنها متصدية وكذلك انبساطية حيث نجدها عن ذلك بما تمنحه من إشراق وابتسامة متصلة، وحيوية في العمل المنزلي وهي جهة تخضع لابنها في حب وتدافع عنه من جهة أخرى في عنف، وكان والد رابح وفيها ومخلصا لها وأكمل الزواج وأنجب منها رابح، ثم توفي ولم تفقد هو فقط بل كذلك أغلب أهلها وقد جعلها بن هدوقة في النهاية تنطق إثر الحادثة التي وقعت لابنها موظف في ذلك، النظرية النفسية التي تقول: "الصدمة تداوي الصدمة" فالأم عندما رأت ابن القاضي يسدد الموس إلى عنق بنها عازما ذبحه صدمت وكانت تلك الصدمة سببا في تكلمها بعد سنوات طويلة من البكم إذ يقول الكاتب: "وبعد إتمام الإسعافات

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص28.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 2009، ص209.

الأولية التي قدمتها كلتا المرأتين إلى الرجلين المصابين، قامت الأم فجرت نفيسة من يدها ودفعتها خارج البيت وأخذت تصرخ بأعلى صوتها...¹.

¹ عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، ص 265.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه المرحلة العلمية التي اشتغلت فيها على رواية علم من أعلام الرواية الجزائرية، ألا وهي رواية "ريح الجنوب" للروائي عبد الحميد بن هدوقة، وبعد تسليط الضوء على موضوع المرأة، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، تمخض البحث عن جملة من النتائج أذكر منها ما يلي:

1- رواية "ريح الجنوب" تمثل البداية الحقيقية للرواية العربية في الجزائر.


2- روايات بن هدوقة كانت دائما مصدر افتتاح وغواية في موضوعاتها بالنسبة لعدد كبير من الروائيين فهو يؤمن بأن الكتابة ليست تشبيها بريئا، بل هي تفتح فكري ورؤية ثاقبة تولد عن الإنسان من خلال معاناة شاقة.

3- يعد بن هدوقة أول روائي تطرق لقضية المرأة في رواياته.

4- يظهر الإبداع فيما تركه المؤلف من آثار تبدوا خاصة في مجال الرواية وعلى رأسها "ريح الجنوب" التي حاول فيها إعطاء صور حقيقية عن المرأة في الماضي وما تعانيه من تعصب وقيود.

5- من بين المواضيع التي دارت حولها بعض الروايات العربية هي صورة المرأة في الرواية الجزائرية، باعتبار أن المرأة هي المحرك والفاعلية في مجتمع يريد الترك.

هكذا استطعت حصر بعض النتائج المتوصل إليها من خلال البحث متمنية في ذلك أن أكون قد استفدت وأفدت ولو بالقليل، فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فبتوفيق من الله العلي القدير على كل شيء.

A decorative border with floral and ribbon motifs in the corners, surrounding the central text.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

- 1- أخلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1993.
- 2- أحمد رضا حوحو ، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988.
- 3- زهور أونيسي، على الشاطئ الآخر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988.
- 4- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2007.
- 5- عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 1970.

المراجع:

1-الكتب الورقية:

- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، (د، ط)، 2009.
- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغربية، المغاربية للنشر، تونس، ط1، 2003.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

- مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).
- مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009.
- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ترجمة محمد حقو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1982.
- علي عبد الواحد وافي، المرأة في الإسلام، مكتبة غريب، الفجالة، (د، ط)، (د، ت).
- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، 2009.
- عمر عيلان، الايدولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة (دراسة سوسيوبنائية)، الفضاء الحر، الجزائر، (د، ط)، 2008.
- عشيرائي سليمان، الشخصية الجزائرية، منعطف الرسو والمد والتقاطبات المدينية والحضارية، ج3، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، (د، ط)، 1982.
- قاسم أمين، تحرير المرأة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1970.
- سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، (د، ت).
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية العربية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1986.

2-المجلات والدوريات:

- الوالي عبد المالك بوضياف، المرأة الجزائرية بين واقع المجتمع وإرادة الدولة، مجلة دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، العدد 26، 2008.
- كمال عجالي، المرأة في ديوان محمد العيد آل خليفة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، العدد 95، 1986.

الملحق:

عبد الحميد بن هدوقة أديب جزائري، ولد في 9 يناير 1925م بالمنصورة التابعة لولاية سطيف، بعد التعليم الابتدائي انتسب إلى معهد الكتابة بقسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، نضاله ضد المستعمر الفرنسي الذي كان له بالمرصاد، دفعه إلى مغادرة التراب الوطني مرة أخرى نحو فرنسا، ثم يتجه عام 1958 إلى تونس يرجع بعدها إلى الوطن مع فجر الاستقلال، تقلد عدة مناصب منها: مدير المؤسسة الوطنية للكتاب، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه، كتب بن هدوقة في الشعر والرواية والدراسات الأدبية، ترجم أعمالا مختلفة إلى اللغة العربية، توفي في أكتوبر 1996 من أهم آثاره: في مجال الرواية: ربح الجنوب، نهاية الأمس، بان الصبح، الجازية والدرأويش، غدا يوم جديد. في مجال القصة: ظلال جزائرية، الأشعة السبعة، الكاتب وقصص أخرى قصص من أدب العالمي، النسر والعقاب، بالإضافة إلى أعمال أخرى منها: الجزائر بين الأمس واليوم، الأرواح الشاغرة، ذكريات وجراح، قصة في ايروكوتسك، دفاع عن الفدائيين، أمثال جزائرية وغيرها.

A decorative border with floral and leaf motifs in the corners, surrounding the central text.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
أ - ج	مقدمة
	الفصل التمهيدي: المرأة بين القديم والحديث
05	أولاً - المرأة العربية عبر العصور
05	أ - العصر الجاهلي
07	ب - عصر الاسلام
10	ج - العصر الحديث
11	ثانياً - المرأة الجزائرية
12	أ - الفترة الأولى (الفترة الاستعمارية)
12	ب - الفترة الثانية: فترة حرب التحرير
13	ج - الفترة الثالثة: فترة ما بعد الاستقلال
14	ثالثاً - درامية الصراع بين الرجل والمرأة
	الفصل الأول: صورة المرأة في الرواية العربية
18	أولاً - أهمية موضوع المرأة في الرواية
20	ثانياً - المرأة في الرواية العربية
22	ثالثاً - المرأة في الرواية الجزائرية

24	أ - فترة الاحتلال
26	ب - فترة الاستقلال
الفصل الثاني: صورة المرأة في رواية "ريح الجنوب"	
32	أولاً - ملخص الرواية
34	ثانياً - المرأة بين واقع الريف وواقع المدينة
40	ثالثاً - المرأة بين الطموح الذاتي وواقع الرجل
47	رابعاً - المرأة في كتابات "عبد الحميد بن هدوقة"
48	خامساً - صورة المرأة في الرواية
48	أ - الصورة الاجتماعية
51	ب - الصورة الجسمية
54	ج - الصورة النفسية
61	خاتمة
63	قائمة المراجع والمصادر
-	فهرس الموضوعات

الملخص:

خدمت ظروف الثورة والاستقلال في الجزائر رواد الرواية العربية خدمة كبيرة، فمن جهة كان موضوع الثورة معيناً لا ينضب استقى منه الكتاب موضوعاتهم معبرين عن أحاسيسهم الوطنية خصوصاً وأن الثورة الجزائرية قد قدمت مثلاً رائعاً في النضال والتضحية من أجل الحرية، ومن جهة أخرى كان الاستقلال عاملاً كبيراً ساعد على ازدهار الحركة الثقافية وشجع المواهب الفردية على الكتابة والإبداع.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الثورة الجزائرية، الرواية الجزائرية، ربح الجنوب، عبد الحميد بن هدوقة

summary:

The conditions of the revolution and independence in Algeria served the pioneers of the Arab novel a great service. On the one hand, the subject of the revolution was an inexhaustible source, from which writers drew their themes expressing their national feelings, especially since the Algerian revolution provided a wonderful example of struggle and sacrifice for freedom, and on the other hand, independence was a big factor. Help flourish the cultural movement and encourage individual talents to write and be creative.

Keywords: women, the Algerian revolution, the Algerian novel, the wind of the south, Abdelhamid ben hadouga.

Résumé:

Les conditions de la révolution et de l'indépendance en Algérie ont rendu un grand service aux pionniers du roman arabe : d'une part, le sujet de la révolution était une source inépuisable, dans laquelle les écrivains puisaient leurs thèmes exprimant leurs sentiments nationaux, d'autant plus que le la révolution a fourni un merveilleux exemple de lutte et de sacrifice pour la liberté, et d'autre part, l'indépendance a été un facteur important. Aidez à prospérer le mouvement culturel et encouragez les talents individuels à écrire et à être créatif.

Mots-clés : femmes, la révolution algérienne, le roman algérien, le vent du sud, Abdelhamid ben Hadouga.